www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٣٠ رجب سنة ١٣٤٤ ٢٤ برج الدلو سنة ١٣٠٥ ه ش ١٣ فبراير سنة ١٩٢٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الثورة السورية والحكومة الفرنسية

والتنازع بين الشرق والغرب

حدثت في أوائل الصيف من هذا العام الشمسي (١٩٢٥ م) ثورة في سورية لم يسبق لها نظير، اقتدح زنادها زعماء دروز حوران، وتولى القيادة العامة لها سلطان باشا الأطرش الشهير، وقد سبق لهم ثورة أخرى كان هو قائدها أيضاً، ولكنها كانت ثورة صغيرة موضعية. وأما الثورة الأخيرة فهي ثورة سورية كبيرة، لايزال يمتد لهيبها ويتطاير شررها، ولم تكن قسوة السلطة العسكرية الفرنسية وشدتها في مقاومتها إلا كمحاولة إطفاء النار بزيت البترول والبنزين والبارود أي لم تزدها إلا قوة واشتعالا. وقد أسرفت السلطة في القسوة حتى إنها دمرت المئات من القرى والمزارع على رءوس أهلها، وأطلقت المدافع وقذائف الطيارات على الأحياء الاسلامية خاصة من دمشق، فتبرت أهم أحياء المدينة عمرانا وثروة وآثاراً قديمة، وقتلت عدداً كثيراً من النساء والرجال والأطفال، وخرج كثير من المخدرات من بيوتهن مع أطفالهن ما بين حافيات وناعلات هائمات على وجوههن، وأجهض كثير من الحوامل، وجن من جن من العقائل. وفعلت السلطة نحواً من ذلك في مدينة حماه التاريخية أيضاً فقتلت من قتلت ثم عذبت من عذبت من الأبرياء كما ثبت بمحاكمتهم في محكمة عسكرية فرنسية

ليس من موضوع المنار استقصاء الحوادث التاريخية، ولا من دأبه الوصف الشعري ولا المبالغة في تصوير حقوق أمته ومصالح قومه أو هضم حقوق خصومهم، ولا سيما اذا كان بالباطل. وإنما موضوعه الذي يعنى به قبل كل شيء بيان الحقائق وفلسفتها ووجوه العبرة فيها، وبذل النصح لكل مستعد لقبوله، وتقرير المعروف للترغيب فيه، وإنكار المنكر للزجر عنه. وإنني أذكر هنا من الحقائق ما يعترف به المنصف وان كان من خصومنا أنفسهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جناية رجال فرنسة على سورية وعليها

(١) إن ما عمله رجال فرنسة في سورية في بضع سنين قد حمل حكومتهم نفقات باهظة تقدر ببضعة ألوف الملايين من الفرنكات، قيل: إنها لو قسمت على هذه السنين لأصاب كل سنة قراب ألف مليون، وخسرت به صيتها الأدبي وسمعتها السياسية والادارية، حتى إن أشد الناس كرهاً للترك وطعناً فيهم صار يرفعهم فوق الفرنسيس درجات كثيرة.

وقد كان ما نشر من أنباء موبقاتهم في هذه المسألة من المقالات في الجرائد وما نظم فيها من القصائد، مشوّها لسيرة فرنسة في المشارق والمغارب، وهادما لما شيدته لنفسها من حسن الصيت في عدة أجيال، أو من عهد ثورتها الكبرى إلى الآن، تلك الثورة التي ثل شعبها فيه عرش ملوكهم الظالمين، وينكرون مادونها على السوريين، فهم يفخرون بمقاومة الفرنسي للظالم المولى من قومه، ويذمون مقاومة السوري لظالمه الأجنبي عنه!!

ولو كان ما فعلوه في سورية خيراً لهم وموافقاً لمصلحتهم، لما كان لنا أن نتكلم فيه معهم، ولكن ثبت به ان احتلال فرنسة لسورية كان شراً لسورية، وشراً لحكومة فرنسة وشعبها جميعاً. وأن حكومة فرنسا هي الظالمة لشعبها بما تحمله من أعباء هذه النفقات الثقيلة في هذه السنين الحسات، وهي أحوج اليها في عسرتها الحاضرة. وبما تحمله على سفك دمه فيما ليس له منه فائدة مادية ولا أدبية، بل فيما فيه ضياع الفائدتين معاً وأما الظالم للحكومة الفرنسية نفسها في هذا وأمثاله فهم الرجال الذين تولّيهم أمر البلاد، وتطلق لهم فيها العنان، فيعيثون فيها فساداً، ويسمون إفسادهم إصلاحاً، ويتخذون لهم شهداء من أنفسهم ومن صنائعهم وعمالهم في البلاد، ومن المشاركين لهم في غنائمهم من أرباب رؤوس الأموال وأصحاب الصحف ورجال الأحزاب في فرنسة — يكذبون على الحكومة، ويروّنها الباطل حقاً، والمفسدة مصلحة، ويطعنون لها في الأحرار الصادقين، اذا تظلموا أو احتجوا عليهم ويوهمونها أن ما يتظلمون منه ما هو بظلم، بل هو عين العدل والفضل!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكنهم ينكرون الجميل ويغمضون الحق، إما لبغضهم لفرنسة لخبث طباعهم أو تعصبهم، وإما لمطامع لهم باطلة لم يجدوا مع العدل الفرنسي وسيلة اليها، وإما خدمة لدولة أخرى أجنبية يعملون لها.

تفسير الانتداب الفعلي والقولي

(٢) كل هذا التقتيل والتعذيب، والتخريب والتبييب، والتدمير والتبير، وما يتبعه من المغارم والمآثم، وموبقات الفضائح والمحارم، كله تفسير وتنفيذ بالفعل لكلمة جديدة وضعت في معاهدة الصلح بعد حرب الدنيا في قاموس السياسة وهي كلمة (الانتداب)

وضعت هذه الكلمة دول الحلف البريطاني الفرنسي الذين كانوا يسمون قتالهم للحلف الجرماني بقتال الحق والعدل والحرية والحضارة للباطل والجور والهمجية واستعباد الأمم، وفسروه بانه عبارة عن مساعدة الشعوب المحررة من العبودية الجديرة بالاستقلال على النهوض بأعباء استقلالها، إلى أن يزول مايحول دونه من فقرها وضعفها، وتصبح قادرة على السير وحدها، وزعموا أن الباعث عليه الرأفة والمرحمة، لامجرد العدل، والمكافأة على مساعدتهم في تلك الحرب. وأن النادب لهم والداعي الى هذه المكرمة الانسانية والضامن للدول المنتدبة الرقيب عليها في تنفيذها كما فسرت انما هو جمعية الأمم المؤلفة من خمسين أمة ونيف - فهل يجوز اذا في شرع الرحمة والمحبة أن تترك الدولة المنتدبة هذه الفضائل الانسانية كلها وتخفر عهد هذه الأمم والدول كلها، لأن بعض الشعوب التي تبذل لها هذه المساعدة لتنتفع بما نالت من الحرية والاستقلال تتألم منها، وتأبى أن تقوى من ضعف، وتغنى من فقر، وتعز بعد ذل، وتتحرر بعد رق ؟ فاين الفضائل الانسانية ؟ وأين العهود الدولية ؟

تلك إشارة إلى مسافة الخلف من أقوال منفذي الانتداب وأفعالهم، ثم إنهم يطلبون منا أن نصدق وعودهم، ونثق بعهودهم، وهم يعلنون أن هذا غير مستطاع، ولكنهم يريدون إكراهنا بالقوة على أن نجعد مساوئهم أو نسكت عنها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لئلا تجد الاحزاب المعارضة في مجلسي نوابهم وشيوخهم حجة يسلبون بها منهم هذا السلطان الاستبدادي المطلق الذي هو أعظم اللذات التي فتن بها البشر، فهم لا يبالون بما نعتقد نحن فيهم، وإنما يبالون بمن يقول الحق ويطالب بالعدل في بلادهم، وقليل ماهم

الفرق بين الشرق والغرب في احترام القوة

(٣) إن شعوب أوربة شعوب دموية مازالت تعتمد في جميع شؤونها على القتال وسفك الدماء حتى صار غريزة فيها، فكل اعتمادهم على القوة المادية الحربية، بل لما صار ذم القتال وسفك الدماء مما يذم عندهم بالكلام، ويتبرؤن منه برياء القول، ويدعون أن ما ينفقونه في كل عام من قناطير الذهب المقنطرة التي تجتاح معظم كسب شعوبهم على الاستعدادات الحربية من برية وبحرية وجوية لا يراد به إلا السلم. على أن هذه الدعوى على مافيها من كذب ورياء حجة قطعية على أنهم لا يمكن أن يرتدعوا عن ذلك إلا بالخوف من القتال. لأجل هذا يقيسون طباع الشرقيين على طباعهم، بل قلبوا الحقيقة وعكسوا القضية فصاروا يزعمون أن الشرقيين لا يخضعون إلا للقوة، ولا يطيعون الأوامر إلا بالاذلال والاهانة، ونتيجة هذا أنهم لا يقبلون ما يسدونه اليهم من نعم الحماية والوصاية والانتداب إلا اذا حمل اليهم وحملوا عليه بقوة الحديد والنار، وأقنعوا بها بقذائف المدافع والطيارات، وتدمير السيارات والدبابات، فهم يكررون هذه الأقوال كلما صالوا على شعب شرقي فدافع عن نفسه ولو بالحجج القولية المنطقية، فكيف اذا حمل السيف مستبسلا لتحميله ما لا يطيق يائسا من إنصافه كما يقولون اليوم في قضية فلسطين وفي قضية سورية.

والحق الذي يشاهد اليوم ويحفظه التاريخ من قبل أن الشرقيين يخضعون للدلائل العقلية، وللوجدانات القلبية، وينقادون بالملكات الفاضلة والخلات الشريفة، فتغلب عليهم المعنويات، كما استحوذت على الأوربيين الماديات، وان المبالغة في الامرين، مما يعد من عيوب الفريقين

وقد كان مما انتهى اليه فساد ضعف الشرقيين الاجتماعي والسياسي واستذلال الاستبداد لهم أن تحول عشقهم للفضائل والكمالات والمجد الصحيح الى الرضا منها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالمجد الكاذب والكمال الصوري أو الوهمي ، وقد نبه بعض عشاق فرنسة من وجهاء الموارنة بعض مندوبيها السامين الى هذا النقص ونصحوا لهم بأن يراعوه في إدارة البلاد ليتم لهم أمر السيادة فيها بسهولة وتكون راضية منهم

حدثني حبيب باشا السعد المشهور عن نفسه أنه قال للجنرال غورو : إننا نحن الشرقيين نحب المجد الكاذب فولونا أعمال البلاد الرسمية واكتفوا بوضع مستشارين ومراقبين منكم معنا، يرشدون رؤساء الموظفين الى ماتريدون منا ونحن ننفذه لكم بأحسن ماتنفذوه لانفسكم . وقد نصح لهم بمثل هذا صديقهم عبدالله باشا صفير وهو مؤسس الحزب السوري الفرنسي بمصر ، وأقام لهم الدليل عليه بسياسة الانكليز بمصر التي نجح فيها لورد كرومر أتم النجاح ، وقد ذهل سعادة الباشا عند إسداء هذه النصيحة قولا وكتابة عما بين الفرنسيس والانكليز من التباين في الاخلاق والغرائز وأساليب الاستعمار ، وهي لاتخفى على مثله وقد بينها الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون في كتبه التي وضعها لمباحث علم الاجتماع ، على أن الانكليز لم يسلموا من شذوذ الغرور بالقوة وقسوة العظمة واحتقار الشرق وأهله كما فعلوا في (حادثة دنشواي) وفي العراق والهند أخيراً ، ولكنهم لم يبلغوا فيه عشر معشار الفظائع الفرنسية في سورية ، وقد أيقنوا أنهم كانوا فيه من الخاطئين المخطئين، وما رجع بعض كتابهم في هذه الأثناء قول الفرنسيين إن أهل الشرق لايدينون ولايخضعون إلا لقوة النار والحديد إلا خداعاً وتغريراً لهم ليتمادوا في بغيهم

عظمة فرنسة وقوتها الحربية

(٤) مما يعتذر به الفرنسيس عن أعمال القسوة ، والاسراف في التخريب والتدمير ، والتصميم على حل مشكلة الثورة الثورية بقوة الجند ، واشتراط تسليم الثائرين سلاحهم بلا شرط ولا قيد — أن كل ما عدا هذه الطريقة من إدارة البلاد ومعاملة أهلها يذهب بكرامة فرنسة ، ويزيل مهابتها من القلوب ، ويوهم أهل البلاد أن الثوار أقوى منها — وهذا الاعتذار خطأ محض مبني على النظرية التي بينا فسادها آنفاً وهي أن هؤلاء الناس أنفسهم لايعترفون بفضيلة ولا كرامة للدول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأمم إلا القوة والقدرة على القتل والتخريب ، والحق الواقع يفند رأيهم ويؤيد رأينا ، فانهم كلما اشتدوا في القسوة اشتدت مقاومة الثائرين واستبسلوا في القتال ، واستهانوا بالموت . ومن المعلوم بالضرورة أنهم يقاتلون مختارين ، فتألمهم أدل على أخلاقهم وما في أنفسهم من قتال الجند الفرنسي وكل جند نظامي ، فان الجند النظامي إنما يقاتل مكرهاً ومضطراً ، إذ هو يعلم أن الفار من الزحف جزاؤه القتل قطعاً ، وأن الذي يثبت يجوز أن يبقى وأن ينال مكافأة على ظفره . وقد كان موقدو نار هذه الثورة خلقوا في فرنسة قبل إعانتهم واحتلالهم وهضم حقوقهم ، ومغترين بوعود رجالها ، ولم يبق أحد يصدق لهم قولاً ولا بقي منهم وعد

وإنا لنعلم أنه لا يوجد أحد من قواد الثورة ولا من مساعديهم يعتقد أن الثوار أقوى من فرنسة وأقدر على الحرب ، ولا أن سورية كلها تساوي فرنسة لو قارنها في القوة الحربية . وإنما يحاربونها لأن رجالها ألجؤهم إلى القتال إلجاءاً واضطروهم اليه اضطراراً ، إذ أقنعوهم فعلاً بأن سلطتها لا تطاق ولا تحتمل ، وأن القتل الشريف في سبيل الاستقلال ، أفضل من الحياة في الذل والفقر والنكال ، ولان في السوريين من لا يزالون يظنون أن في فرنسة فضيلة غير فضيلة القتل والقتال يرجى أن تنتصر عليها — وأعني فضيلة الحق والعدل والعمران — وأن الثورة هي التي يمكن أن توصل إلى محبي الحق والعدل والعمران صوت سورية الذي عجز عن إيصاله اليهم أحرار السوريين بالحجج والبراهين التي يدلون بها كل عام ، وعند كل حادثة عظيمة وخطب فادح بما يخاطبون به جمعية الأمم وكبريات الدول وفي مقدمتهم فرنسة ، وما ينشرونه في جرائد العالم فيتصدى لتكذيبهم والطعن فيهم أنصار الأحزاب المالية والعسكرية والجزويتية الذين يستغلون سورية بما قدمنا أنه ضار بفرنسة حكومتها وأمتها لا بالسوريين وحدهم ، ويظنون أن هؤلاء يمكن أن يؤلفوا مع طلاب الاتحاد والأحزاب المعارضة قوة في مجلسي النواب تجبر الحكومة الفرنسية على إنصاف سورية ، والاعتراف بحقها في الحرية والاستقلال . فان صدق ظنهم هذا أمكن أن تستعيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرنسة بعض ماافقدت من حسن صيتها السابق وكان خيراً للشعب الفرنسي ولحكومة الجمهورية الفرنسية من اعتقاد سورية أن فرنسة فقدت كل فضيلة إنسيانية، وصارت كالوحوش المفترسة، ليس لها صفة تفخر بها الا القتال والتخريب ولو فقدت به ثروتها وشرفها الأدبي

حظ الانكليز من ثورة سورية

(٥) قيل: إن الثورة السورية الحاضرة هي من دسائس الانكليز، وإنهم هم المحركون لها، والممدون لنارها بالوقود، ولثوارها بالسلاح والنقود، وقد خاضت في هذه التهمة بعض الجرائد الفرنسية والمصرية، وهي تهمة باطلة سببها اعتقاد جميع الشعوب ان الانكليز هم شياطين الانس، لاتقع فتنة الا بدسائسهم ووساوسهم، وهم يستفيدون من هذه التهمة لأن فرنسة تضطر بتصديقها لذلك الى استعتابهم واسترضائهم بمساعدة تبذلها لهم، أو مصلحة لها تنزل لهم عنها، كما نزلت لهم عن الموصل حتى لايعارضوها في احتلال دمشق. وما يدرينا أنهم يحتاجون الآن الى مساعدتها على التبرك في مسألة الموصل أيضاً، وأنها ستبذل لهم هذه المساعدة كما بذلت لهم الموصل نفسها، وكنت من نصيبها في معاهدة سايكس بيكو

ان الانكليز لا يمكن أن يساعدوا الدروز ولا غيرهم من السوريين على قتال فرنسة، لأنهم يعلمون أن الذي يتجرأ على قتال فرنسة يتجرأ على قتال انكلترة، فانها ليست أعظم من فرانسة قوة عسكرية بل دونها، وكيف يساعدونهم على ذلك وهم يطمعون في أخذ بلادهم كما قال أحد كبار رجالهم لعربي يثق باخلاصه لهم وقد سأله: كيف تتركون سورية لفرنسة وهي بين فلسطين والعراق؟ فقال له: هل رأيت انكليزيا يلبس ثوبا مرقعا؟ قال: لا قال فافهم أنا أومن بأن الانكليز يعتقدون أن مآل سورية لهم، كما أومن بأنهم ليسوا هم المحركين للثورة السورية، وأنهم لم يساعدوها، وأنهم لا يرون من مصلحتهم ظفر الثوار بفرانسة، ولا أن يتفقوا معها، وانهم يتمنون لو تقلل عدد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمين والدروز في سورية ، ولا يكرهون أن تستبدل الارمن بالدروز في حوران ثم لبنان ! ، كما تفعل هي في تغليب اليهود على العرب في فلسطين . وأومن مع هذا بأن الثورة تمهد لهم السبيل لما يعتقدون من المآل الذي ذكرناه ولما هو أبعد منه لأنه يورث العداوة ويؤرث الحقد بين فرنسة والسوريين وكذا سائر العرب والمسلمين . فاذا يئس السوريون من الاستقلال الصحيح فانهم لا يرون بدّاً من توطين أنفسهم على الانضمام الى العراق وفلسطين لما في ذلك من الفوائد الاقتصادية والأدبية والقومية ، فاذا اتحدت سورية الكبرى مع العراق يكون المجموع دولة عربية غنية . فأي سوري أبله يفضل على ذلك ما تفعله فرنسة من جعل سورية الصغرى عدة شعوب ، لكل شعب منها حكومة تسمى دولة ، وهي سخرية لا يجهل عوام الحراث والعمال سببها والغرض منها

إن للانكليز حزبا في سورية يستطيعون دفعه للعمل في كل وقت ، ولا يوجد أقوى منه في البلاد الا حزب الاستقلال المطلق ، وهم لا يدفعونه إلى العمل الا عند ارتفاع المانع ووقوع المقتضي ، وهم مشهورون بانتظار الفرص والوثوب عليها عند سنوحها ، وفرنسة تقرب لهم الزمن ، وتمهد لهم السبيل ، وما هذه بالاولى لها في ذلك ولا بالثانية ولا بالثالثة ولا بالرابعة

كنت مرة أتكلم مع أحد فضلاء المصريين منذ بضع عشرة سنة في خداع الانكليز للفرنسيس فقال لي : كان يعلمنا التاريخ في المدرسة الخديوية عالم فرنسي باللغة الفرنسية قبل تحويل التعليم الى الانكليزية ، فذكر مرة مسألة تاريخية من هذا القبيل ، وقال عقب ذكرها : قد خدعنا الانكليز في ذلك فانخدعنا ، ثم ذكر في سنة أخرى مسألة مثلها وقال هذا القول ، فذكرته بالمسئلة الاولى وقلت له : وكيف انخدعتم لهم ثانية وقد علمتم أولا أنهم خدعوكم ؟ قال : وهل وقف الامر عند هذا الحد ؟ كلا ، إنهم سيخدعوننا أيضاً فننخدع

لا يحسبن أحد أنني أقول هذا للايقاع بين الدولتين كما هو دأب كتاب السياسة ، إنني لست مغروراً بنفسي الى هذا الحد ، انما أنا أكتب ما أعتقد ، ولست أستنبط اعتقادي هذا من الثورة السورية الحاضرة ، بل أنا أعتقده منذ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علمت بنبأ معاهدة (سايكس بيكو) في اقتسام الدولتين لبلادنا ، وقد قلته لكثيرين أذكر منهم شاهدين سوريين وشاهداً فرنسياً :

إنني عقب هدنة الحرب الكبرى وبعد احتلال فرنسة لسواحل سورية ابتعث طائفة من الأقمشة لارسلها الى أهل بلدنا (القلمون) بجوار طرابلس الشام لكسوة من تركتهم الحرب فيها عراة لا يجدون ما يكتسون به ، فقيل لي : ان فرنسة تمنع ذلك ، ولا بدّ من اذنها ، فذهبت الى دار معتمدها السياسي لطلب الاذن ، فلقيت عند السكرتير الشرقي للمعتمد (وهو فرنسي يعرف العربية) حقي بك العظم وخليل افندي زينية المشهورين ، فجرى بيننا حديث في موضوع سورية أفضى الى أن قلت للثلاثة : انكم تعلمون انني داعية استقلال لوطني ، لا أرضى بحماية ولا وصاية من فرنسة ولا انكلترة . وأقول لكم الآن انني أعتقد اعتقاداً مبنياً على طول التفكر والتروي أرجو أن تسمعوه وتكتبوه في مذكراتكم ، وتدعوه للزمان يصدقه أو يكذبه ، وهو أن سورية لن تكون في المستقبل لفرنسة ، بل هي ستكون مستقلة خالصة لأهلها ان شاء الله ، أو لانكلترة لا سمح الله

ولا يستطيع أحد من الفرنسيس ولا من أشياعهم أن يتهمني بأنني من حزب الانكليز أو أبث الدعوة لهم ، فانهم جميعاً يعلمون أنني خلفت أستاذنا الاكبر السيد جمال الدين في الجهر بمعارضة السياسة البريطانية في المسألة العربية والمسألة الاسلامية بما يعلمون من الشدة . وانني ما اشتددت في معارضة سياسة الشريف حسين وأولاده لجهلهم وظلمهم وسوء تصرفهم فقط ، بل ذنبهم الاكبر أنهم صنيعة الانكليز ويعملون لهم — وقد صرحت لكل من كلمته في هذه المسألة من كبار رجال فرنسة كغيرهم بأننا نعلم كغيرنا من الواقفين على أحوال الدول والأمم أن انكلترة ألين ملمساً وأحسن سيرة في الاستعمار من فرنسة كما يشهد بذلك الدكتور غوستاف لوبون أكبر فلاسفة الاجتماع والتاريخ في فرنسة نفسها ، وكنا نعلم هذا قبل أن نقرأ كتب هذا العالم الكبير ، وقبل أن نرى في بلادنا شراً مما كنا نسمع ونقرأ من اخبار مستعمراتها الافريقية ، فماذا تقول اليوم ؟ وقد عملوا في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشام مالم يسمع بشر منه في تاريخ الشعوب الهمجية كلها الا ان تكون فظائع التتار ؟ ولقد ثار أهل العراق وأهل مصر في وجوه الانكليز، وقتل العراقيون في ثورتهم من الجنود البريطانية أكثر مما قتل السوريون من الجنود الفرنسية اضعافا ، ولم تفعل جنود انكلترة في القاهرة ولا في بغداد مثل مافعلت جنود فرنسة في دمشق وحماه ، دع تدميرها لقرى الفلاحين المتنجين على رءوس أطفالهم . نعم إن الانكليز فعلوا نحواً من هذا في الهند ، ولكنهم لم يبلغوا شأو الفرنسيس ولا قاربوا .

وجملة القول في هذه المسألة ان فرنسة تمهد لانكلترة في سورية اليوم كما مهدت لها في مصر من قبل بطبعها لا بطوعها ، وانها لن تستطيع أن تبقى في سورية الا تحت رحمة الانكليز ولهذه الرحمة اجل وغاية ، وانها لابد أن تؤدي لهم على سكوتهم عنها الى منتهى ذلك الاجل أجراً أو جعلا أو مكافأة كلما أرادوا ذلك منها (أو كلما دق الكوز بالجرة) وان ما اشير عليها به من الاقتداء بعمل الانكليز في العراق لن يجعلها إن فعلته مساوية للانكليز في نظر السوريين بحيث يفضلون بقاءها في سورية على اتحاد سورية الكبرى بالعراق ، ولو تحت وصاية الانكليز أو رعايتهم ، وانما الذي يمكن أن يفضلها به السوريون ويتبعهم فيه جميع العرب وكذا جميع المسلمين هو شيء آخر معقول عندنا ويمكن أن يعقله الفرنسي في فرنسة لا في سورية ، فان الفرنسي اذا جاء سورية تبدل عقله وشعوره لانه يصير ملكا مطلقا يتمتع بجميع ما يشتهي في هذه الارض فينسى مصلحة فرنسة لا مصلحة سورية فقط ، وقد ذكرته لأحد كبار رجالهم في مصر فوافقني عليه ، ولكن أمر تنفيذه ليس اليه ، الذي يرضون به هو الاستقلال الحق المطلق مع مساعدة كالمساعدة التي بذلوها لمحمد علي باشا وهم يبذلون لفرنسة من الجزاء المادي والأدبي عليه ماهو خير لها من هذا التحكم الجائر بسلطانهم القومي والتصرف القاسي الذي يتلذذ به موظفوها المعددون وتخسر هي من أموالها ورجالها وصيتها الادبي ماذكرناه في أوائل هذا المقال (للمقال بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك (*)

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

إن للمسلمين شدة في دينهم، وقوة في إيمانهم، وثباتا على يقينهم، يباهون بها من عداهم من الملل، وإن في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض، ومما رسخ في نفوسهم أن في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين. ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء، وهذه الملة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم، حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا أن واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف، يلهج بالحوقلة والاسترجاع، ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به، بل وعلى جميع من يشاركه في دينه، ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين لايتمالك قلبه من الاضطراب، ودمه من الغليان، ويستفزه الغضب، ويدفعه لحكاية مارأى كأنه يحدث عن غريب، أو يحكي عن عجيب.

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على مايدخل في ولايتهم من البلدان، وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه، وهو فرض عين على كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام. ومن

(*) نشرت في العدد الخامس من جريدة العروة الوثقى الذي صدر بباريس في ١٤ جمادى الاخرة سنة ١٣٠١ و ١٠ إبريل ١٨٨٤ ونشرناه الآن لتجدد الحاجة اليه كيوم نشر ومنه بيان رأي حكيمي الامة السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده في مقام الخلافة الاسلامية الناقض لرأي الشيخ علي الرازق السخيف، وانما خدم الحكيمان برأيهما الاسلام والمسلمين، وخدم الشيخ علي عبد الرازق أعداء الاسلام المستعمرين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح، وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطر، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق، ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان.

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة، وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من إلهامات دينه، ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر، ولا يألمون لما يألم له بعضهم، فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في أفغانستان على مواقع أنظارهم، ولا يجيش لهم جاش ولا تكون لهم نعرة على اخوانهم، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكليز في بلاد فارس، ولا يضجرون ولا يتململون، وإن جنود الانكليز تضرب في الاراضي المصرية ذهاباً وإياباً تقتل وتفتك، ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجاري دمائهم، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم، الذين احمرت أحداقهم من مشاهدها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو إلى الحيرة، ويسبق إلى بيان السبب فخذ مجملا منه: إن الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات والوجدانيات النفسية وإن كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر بتقدير العزيز العليم، لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع الانفس عليها، حتى يصير مايعبر عنه بالملكة والخلق، وتترتب عليه الآثار التي تلائمها.

نعم إن الانسان انسان بفكره وعقائده إلا أن ماينعكس الى مرايا عقله من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير ،فكل شهود يحدث فكراً، وكل فكر يكون له أثر في داعية ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل إلى الفكر ، ولا ينقطع الفعل والانفعال بين الاعمال والافكار ، مادامت الارواح في الاجساد ،وكل قبيل هو للآخر عماد .

إن للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ماتبعث عليه الضرورات ، وتلجيء اليه الحاجات ،عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع ، وتضافرهم على دفع المضار ، وبعد كرور الايام على المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب ،أخذاً يصرفه في آثارها بقية الاجل،ويكون انبساط النفس لعون القريب ، وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة ،جارياً مجرى الوجدانيات الطبيعية ، كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع ، بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعياً . فلو أهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها ، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات إلى مايمكن تلك الصلة ويؤكدها ، أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبه أو ألجأته ضرورة الى ذلك ، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ، ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ماذكرنا في رابطة النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض : اذا لم يصحب العقد الفكري ملجيء الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من أشكالها ، فلن يكون منشأ لآثاره ، وإنما يعد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة ،والنظر فيها بعين الحكمة ،يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ماهم فيه مع شدتهم في دينهم ،والعلة في تباطؤهم عن نصرة اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم ، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال ،وانقطع التعارف بينهم

وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل ، فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عمن يبعد عنهم ، والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا ، بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ، ولا صلة تجمعهم ، إلا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر . أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم ، بل لا أنساب بينهم ، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الأفغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في الشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم ، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة إذا التقى بعضهم ببعض في موسم الحجيج العام ، وهذا النوع من الاحساس هو الداعي إلى الأسف وانقباض الصدر إذا شعر مسلم بضياع حق مسلم على يد أجنبي عن ملته ، لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته . كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج ، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال ، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقبما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة إلى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد ، وفاطمية في مصر والمغرب ، وأموية في أطراف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان وأولاده، وتيمورلنك وأحفاده، وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلوهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً، وانفرد كل بشأنه وانصرف الى مايليه، فتبدد الجمع الى آحاد، وافترق الناس فرقاً كل فرقة تتبع داعياً إما الى ملك أو مذهب، فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة، وتبعث على اشتباك الوشيجة، وصار ما في العقول منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذاكرة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات، ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عندما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان، وماهو الا نوع من الحزن على الفائت ، كما يكون على الاموات من الأقارب، لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ، ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لاحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبط الروح حياة الوحدة، ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض، ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر، ويجمعون أطراف الوشائج الي معقد واحد يكون مركزه في الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام ، حتى يتمكنوا بذلك شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بما يحط من شأنها، ويكون كذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الافهام وصيانة الدين من البدع ،فان إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة ،وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل

الا إنا نأسف غاية الأسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وان التفت اليها في هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة ، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذا الفئة ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ويجمع شتيتهم، فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه ،وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ، ويصافحوا بالأكف من هو على مقربة منهم ،ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يمسها بضرر ، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة ، والرمق باق والآمال مقبلة ، والى الله المصير

انموذج التربية

تربية أمراء العرب قبل الاسلام

وكيف نستفيد منها في هذه الايام ؟

(وجدت هذه الرسالة فيما لديَّ من أوراق شيخنا الأستاذ الامام ، فرجوت أن يكون الانتفاع بنشرها الآن أعظم مما كان في عهد من كتبها ، وهو كما أظن أستاذ التربية والتعليم البصير حسن افندي توفيق المصري رحمه الله وهذا نصها):

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السؤال

ما الذي كانت عليه أمراء العرب قبيل الاسلام ، حسبما تفيده أوصافهم المشروحة في قول الحطيئة ؟ :

يسوسون أحلاما بعيداً أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدّ
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سُدّوا المكان الذي سَدّوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا
وإن كانت النعماءُ فيهم جزَوْا بها ... وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
مطاعين للهيجا مكاشيف للدُّجى ... بنى لهم آباؤهم وبنى الجدّ
ويعذلني أبناء سعد عليهم ... وما قلت إلا بالذي علمتْ سَعدُ

وكيف يستفاد من هذه الأبيات أنواع التربية ؟ وما هي الطرق العمومية لأجل الوصول الى مثل هذه التربية وتكميلها في أمتنا بواسطة المدارس خصوصاً

الجواب

كانت تربية أمراء العرب قبل الاسلام كما ترشد اليه أبيات الحطيئة على أن يتخرج أولئك الامراء متوفرة فيهم الشروط التي تؤهلهم الى سدّ الأمكنة التي يشغلونها من المجتمع الانسانيّ في عصرهم

وتلك الشروط أوجبتها حالة اجتماع القبائل الذي كان قد أخذ يتقدم تقدماً عظيما في ذلك الوقت . وذلك لأن من شأن المجتمعات لما تكبر أنها تكون موجبة لجملة أمور :

(الأول) كما تكون ذريعة لاتساع الحضارة والعمران ، تكون سبباً لازدياد العلوم وانتشار المعارف ، ضرورة تبادل الافكار بين أفراد الجمعية ، وتجدد الأمور التي يقتضيها الترقي في المدنية . ومن المعلوم أنه لا يتم نظام جمعية قلت أو كثرت ، إلا إذا كان على رأسها سادة يرجع اليهم الأمر في الحل والعقد، والنقض والابرام، وأنه لا يتهيأ لها نجاح في أمورها إذا تولى رئاستها من لا علم لديه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاتصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فاقتضت حالة الاجتماع التي كانت عليها العرب قرب الاسلام أن يكون لجماعاتها المتنوعة رؤساء يقومون بالمصالح العامة ، وأن يكون أولئك الرؤساء لديهم كفاية من المعلومات يتنورون بها في تصرفاتهم، ويهتدون بها في سائر أحوالهم

ومن أجل ذلك لزمت تربيتهم تربية فكرية ، لائقة بمنزلتهم بين أبناء جنسهم ، ومناسبة للمعروف الجميل في عصرهم

(الثاني) لما كانت الكبيرة مسببة لعظم الاختلاط بين الناس، وداعية الى كثرة العلاقات بينهم، وتتولد عنها الفرص العديدة التي يتمكن فيها الانسان — اذا أهمل وطبيعته — من الاسترسال في الأهواء المستبدة ،والشهوات المهلكة، ومن التستر على أحواله الخارجة عن حدود الاعتدال ، وكان ذلك من دواعي الاختلال في نظام الاجتماعات ، وجب اتباعاً للحكمة، ورفقاً للمصلحة، أن يعوّد أفراد الجمعيات على محاسن الأعمال ، وخصائص الأخلاق

ولما كانت الخاصة أسوة العامة في السلوك الانسانيّ ، وكان رؤساء كل جماعة أول مطالب باستئصال عروق الشر والفساد ، وتمكين أسباب الخير والصلاح ، اقتضت حالة الاجتماع العربيّ قبيل الاسلام أن يتصف أمراء القبائل بأكمل مايرام من الآداب التي يستحقون بها أن يكونوا قدوة لمرءوسيهم، وأن يكون لديهم مايتمكنون به من حمل أقوامهم على الانتظام في الأمور ، وحسن السير في المعاملة . ومن ثمّ كانوا يرون من المتحتم عليهم أن يكونوا متربين ﴿ تربية أدبية ﴾ لائقة بمقامهم ، وموافقة لمألوفات قومهم

(الثالث) عظم المجتمعات ينشأ عنه زيادة حاجات المعيشة، وبسبب تعاون الأيدي ، واشتراكها في تحصيل النافع ، تكثر الخيرات ، وتتوفر أمتعة الحياة ، ويتبع من ذلك أن أهل الدعة ، والمحبين لأنفسهم، الساعين في منافعهم الشخصية، يأخذون في تسخير الناس لقضاء حوائجهم من غير أن ينفعوهم بشيء ، وأن الأقوياء والماكرين يطمحون بأطماعهم الى ما في أيدي الناس واغتصابه منهم بالقوة إذا أمكن ، أو انتزاعه منهم بالحيلة ، وممانعتهم عنه بكل مايمكنهم من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطرق . ولهذا كان من الضروري للعائش بين قوم أن يكون صحيح الجسم ، قويّ البدن ، ذا بأس شديد ، حتى يتأتى له أن يعمل ماينفع وينتفع به ، ولكي اذا اضطرته الحالة يمكنه المدافعة عن نفسه ونفيسه ممن يتعدّى عليه ، وكان من أقصى الواجبات على من يرصدون أنفسهم لتولي أمور الجمهور أن يتخذوا الوسائل التي يكونون بها من الأصحاء الأقوياء الأشداء ، ليقوموا بواجب حماية الضعفاء ونصر المظلومين ، وحفظ حقوق الناس ، ومنع أسباب التعدّي من بينهم — وقد علم أمراء العرب بالتجارب هذه الغاية ، فأوجبوا على أنفسهم ﴿ تربية جسمية ﴾ تعدّهم لحماية أقوامهم ، وتمكين الأمن بينهم

فذلك ما كانت عليه تربية أمراء العرب قبيل الاسلام حسبما ترشد اليه أبيات الحطيئة

فكانت إذن على أنواع ثلاثة :

(١) تربية فكرية

(٢) تربية أدبية

(٣) تربية جسمية

فأما التربية الفكرية

فقد جلى نورها في قوله :

﴿ مكاشيف للدجى ﴾

إذ هو عبارة عن أنهم عارفون بالأمور معرفة تامة ، مبينون لها تبييناً كاملا ، فالواحد منهم فضلا [1] عن أنه نيّر في نفسه منوّر لغيره

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى مافي النفوس فلم يدع ... لذي إربة في القول جداً ولا هزلا

(١) : فضلا عن كذا : يستعمل في سياق كقولك لا يملك الدرهم فضلا عن الدينار . النفي ويستغني عنه هنا بمثل : نير في نفسه وهو على ذلك منور لغيره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأن العلم المتمكن أشبه بالضوء الساطع الذي يشرق على الأشياء فيجعلها في غاية الظهور حتى للضرير ، والجهل المطبق أشبه بالظلام الذي يتراكم عليها فيصيرها في نهاية الخفاء حتى على البصير. كما قيل :

* العلم نور ، والجهل عمى *

وقد لخص خلاصتها في قوله :

* أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا *

حيث هو عبارة عن أنهم لايشرعون في أمر من الأمور إلا أحكموه تمام الاحكام ، فان الأمر المحكم الذي لايقبل النقض مدى الأزمان ، كالبناء المتقن الذي لا يتهدم على توالي الأيام ، ولا شك أن إبرام الأمور على أحكم نظام، يحتاج إلى علم راسخ وتبصر تام

وأما التربية الادبية

فقد أودع ثمرتها في قوله :

يسوسون أحلاما بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد

وفي قوله

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

حيث أفاد أنهم يسلكون مع الناس على مقتضى العقل ، ويعاملونهم بالحلم ، ولا يغضبون عليهم الا في الجدّ ، ويثمر فيهم المعروف ، ويحلو منهم الجميل

تخالهم للحلم صما عن الخنا وخرساً عن الفحشاء عند التهاتر

ومرضى اذا لاقوا حياء ومنة وعند الحروب كالليوث الكواسر (١)

لهم عزّ انصاف وذلّ تواضع بهم ولهم ذلّت رقاب العشائر

كأن بهم وصما يخافون ثاره وليس بهم الا اتقاء المعاثر (٢)

أليست هذه مكارم الأخلاق وخصائص الآداب؟

(١) وفي نسخة ويوم الوغى مثل الليوث الكواسر

(٢) المعاثر أنواع العثار أو مواضعه ويجوز أن تكون محرفة عن المعايرة من العار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما التربية الجسمية

فقد أجمل أثرها في قوله : ﴿ مطاعين للهيجا ﴾ لأنه لا يجيد الطعان عند احتدام القتال الا من كان له جسم شديد ، وقلب من حديد .

وترى الفوارس من مهابة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل

الطريقة

التي كانت متخذة في التربية العربية

كانت طريقة تربية العربي طبيعية عملية، بمعنى أن العرب بنوها على مقتضى طبيعة الانسان ، وطبيعة الأشياء التي يمكنه أن يعلمها . وسنأتي على تفصيل هذا المعنى بعد إن شاء الله تعالى

وكانت تلك الطريقة متبعة في جميع أنواع التربية

﴿ أما في التربية الفكرية ﴾

فكان العربي يدرس الأشياء على نفس الأشياء، تتمثل له بذاتها، ويتصوّرها بنفسه ، ويحكم فيها بعقله ، ويجرّبها بشخصه ، فيصفها عن مشاهدة ، ويقضي فيها على بصيرة ، ويستعملها عن تجربة

وكان يمشي في طول الأرض وعرضها ، فيصعد الجبال والآكام ، ويجوب البراري والقفار ، يعبر الأنهار ، ويشرف على البحار ، وينزل في القرى والأمصار ، فكان يعرف البلاد في مواضعها ، ويطلع على الأراضي في مواقعها .

وكان يحضر النوادي ، ويسمع فيها أخبار الأولين ، وسير الماضين ، من أفواه المعمرين والعالمين بأيام الناس، ويشاركهم برأيه في استحسانها أو استقباحها

وكان يحصي عدّة الأشياء بعقله ، ويحسبها جمعاً وتفريقاً في نفسه ، وكان يرسم أشكال الأشياء في ذهنه ، ويقدر الأبعاد والمسافات بنظره

وكان يتلقى اللغة حية صحيحة عن أهلها ، فكان يسمع الكلمات بأذنه ، ومعانيها حاضرة لحواسه ، أو متمثلة لعقله . وكانت تصوّر له الأشياء البعيدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن حسّه ، أو الغريبة عن عقله ، بمشابهاتها المحسوسة له ، أو المعروفة لديه ، وتطرق مسامعه الأساليب الكلامية البديعة ، التي يرى تأثيرها في الناس ولطف مأخذها بقلوبهم ، وحسن مدخلها على أفهامهم ، فكان يتلقن اللسان العربي المبين عن أرباب البلاغة العظيمة ، فيحاكيهم في البيان ، ويجادلهم في القول ، ويسابقهم الى الابداع والاختراع

﴿ وأما في التربية الأدبية ﴾

فكان يتأدب بآداب القوم الذين يعيش بين ظهرانيهم على وجه التأسي بهم ، فكان يرى القناعة غالبة عليهم فيتخلق بها ، ويجد العفة سائدة فيهم فيتحلى بها ، وينظر الى الكرم وهو منتشر فيهم فيتخذه شيمة له ، وهكذا في سائر الأخلاق والشيم ، كان يوجبها على نفسه اقتداء بأفعالهم وأحوالهم ، واتباعاً لما يصدر عنهم من الحكم الساطعة ، وعملا بما يضربونه من الأمثال السائرة

﴿ وأما في التربية الجسمية ﴾

فكان نفس أقليم العرب وأحوال معايشهم حاملة للناشىء بينهم على مباشرة الأعمال التي تكسبه قوة الجسم ، وصلابة الأعضاء ، وخفة الحركات ، مابين انتجاع للمرعى ، وارتياد للماء ، وسفر لمبادلة المنافع ، وما يقتضيه الحل والترحال ، من تحميل الأثقال وتنزيلها ، ونصب البيوت وتقويضها ، وسلوك السهول والأوعار ، في برد الليل وحرّ النهار ، ولا يخفاك ما يلزم من البأس الشديد لمن يعيش بين الحيوانات الضارية ، والسباع الكاسرة ، ومن يكون عرضة في كل وقت للاغارات التي تسوقها الأطماع . ولذلك كان العربي دائما في التمرن على المجالدة أو المصارعة ، أو المجاراة أو المطاردة ، أو الفروسية وركوب الخيل ، أو غير ذلك من الأعمال التي تجعل الجسم كالحديد ، والأعضاء في حركاتها أسرع من الريح الشديد ، ثم إنه كانت تتربى له من كثرة مشاهدة الحروب ، وطول مجاورة الليوث ، جراءة وبسالة وقوة نفس ، لا يخاف معها لا من مخالب الأسود ، ولا من أسلحة الصناديد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الطريقة التي كانت متبعة في التربية العربية ﴾

﴿ وبيان أنها طبيعية عملية ﴾

من نظر في طبيعة الانسان ومعلوماته ، وكان له معرفة بالتجارب الانسانية يجد بين ذلك وبين الطريقة التي كانت مستعملة في التربية العربية تمام الموافقة

﴿ أما في تربية العقول ﴾

فلأن الانسان بالطبع إنما يحصل على المعارف الأولية من طريق الحواس وعقله دائما في احتياج الى التغذي بالمعلومات التي تصل اليه بواسطتها

فكلما كانت حواس المرء أكثر تناولا للأشياء ، وأعظم تمييزا لأوصافها وأسرع وصولا الى دقائقها ، كأن المرء أوسع علماً ، وأحد ذهناً ، وأكمل نباهة — ومن أجل ذلك كان العربي يطلع بقدر استطاعته على الأشياء بذاتها ، ويتمرن على اكتشاف أسرارها بنفسه ، فكان ينشأ غزير المعرفة ، قوي التصور ، شديد الفطنة

ومن (القواعد المقررة) أنه كلما كان العقل أكثر عملا بنفسه في تصوّر الأمور والحكم عليها ، كان أقوى حصولا على المعارف ، وأمضى نظراً في المعلومات ، وأقرب إصابة للحقائق ، وهذه هي الحكمة في اتخاذ العرب طريقة الارشاد في تربية أفكارهم ، فكان العربي يقدر على استعمال عقله دائما في كل ما يريد معرفته ، وبسبب هذه العادة كان ينفر عن تلقي المسائل تلقيناً صرفا وقضايا مسلمة . وإذا مشى مع آراء الناس فلحد ما يعرف سيرها وغايتها ، فان وجدها مصيبة ، وإلا اتبع الصواب . ولذلك كان ينشأ متوقد القريحة ، ثاقب الفكر ، صائب الرأي . وزيادة على ذلك أنه لما كان يشغل عقله كان يجد سروراً من وقوفه بنفسه على الحقائق ، ولذا كان عظيم الشوق الى المعارف

﴿ وخلاصة الكلام ﴾ أنه لما كان من طبيعة العقل الانسانيّ العمل بنفسه ، واكتساب المعلومات ، إما بواسطة الحواسّ ، وإما بشغله الذاتيّ . وقد علم بالتجربة أنه يقوى بالتمرُّن والتدرُّب رأى العرب من الواجب أن تكون الطريقة في تربية عقولهم اطلاعها على الأشياء ، وإرشادها الى كيفية العمل في احصول على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعارف ، وتمرينها ما أمكن على الشغل بنفسها . وبما أن اللغة بطبيعتها عبارة عن ألفاظ موضوعة بالاصطلاح للدلالة على المعاني التي يمكن أن تتناولها الأفكار ـ فمن الضروري لمن يريد التكلم باحدى اللغات أن يقف على أنواع ألفاظها المفردة والمركبة ، وما تدل عليه من المعاني المتنوّعة ، وبالطبع لايحصل المرء على النجاح فى اللغة إلا بثلاثة شروط

(الأول) أن يلقن مبانيها على وجه الصحة والصواب ليجتنب الأغلاط اللسانية

(الثاني) أن يلقن ألفاظها عند قيام معانيها بذهنه ، حتى يكون عنده الارتباط محكماً بين الدوالّ والمدلولات ، فيأمن اللبس الناشىء عن استعمال المفردات أو التركيب في غير مانستعمل فيه

(الثالث) أن يتمرن كثيرا على محاكاة ما تلقاه لتتربى له ملكة النطق على الهيئة المعروفة فيها ، وأن يتعوّد اختراع الأساليب الكلامية ، ليكون محاكياً للغة بعقل ، متصرفا فيها بفهم ، غير محتاج الى تلقين مستمر

﴿ فالطريقة ﴾ إذن في تعليم اللغة هي التلقين الصحيح ، والتعويد على المحاكاة التعقلية ، وعليها جرى العرب

﴿ وأما في تربية الآداب ﴾

فقد دلّ النظر فى طبيعة الانسان على أنه — خصوصاً في ابتداء نشأته — يتبع أكثر مما يبتدع . وتقليداته أكثر من عنده ياته ، وذلك لقلة معرفته بالامور ، وقصور عقله عن التميز بين محاسن الأشياء ومساويها . وأفادت التجارب أن طول التعود على الشيء ملحقة بالطبائع — فرأى العرب من الحكمة فى تربية الأدب أن يكون للناشىء بينهم أسوة حسنة فيهم ، حتى يتعوّد من صغره على مكارم الأخلاق ، فاذا شبّ وكبر عقله وجد فيما تعوّد عليه مثالا واضحاً للصنائع الأدبية التي تتناثر عليه حينئذ من أفوه قومه

﴿ وأما فى تربية الأجسام ﴾

فقد رأوا أنه لاطريق لنماء الأبدان وصحتها غير سياسة البطون ، ولا سبيل الى القوة وشدة البأس غير رياضة الأجسام ، ولا وسيلة الى اشعار القلوب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالجراءة الا اقتحام الأخطار ، فعملوا على مقتضى ماعلموا .

فقد تبين أن الطريقة التي كانت تستعملها العرب في التربية طبيعية عملية وهذه الطريقة هي التي يؤيدها العقل ، وتشهد بصحتها التجارب ، وقد تكفلت بالنجاح لكل من يستعملها . ومن يبغي الوقوف على نتيجة اتباعها في تربية الأخلاق والأجسام ، فليطلع على حال العرب وسيرهم ، ومن يحب أن يعرف نتيجة اتباعها في تربية العقول ، فليطالع المنشآت العربية شعراً ونثراً ، ويتفهمها جيداً ، فانه يجد فيها كثيراً من العلوم العالية ، التي لا يصل اليها إلا فحول أهل المعرفة والدراية ،

ولنسق مثالا لهذا الأمر الأخير بعض أبيات الشعر الذي هو موضوع كلامنا ، وننظر الى الأفكار التي يتضمنها ، والأساليب التي صيغت عليها معانيها . فاليك أول بيت منه وهو :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدّ

عبّر فيه عن ثلاث صفات للقوم وهي : الحلم المصلح ، والغضب الجدّ ، والعقاب المؤلم . فالصنفان الأوليان من المعاني التصوّرية التي يعرفها الانسان (في نفسه) بالوجدان ، ويفهمها (من غيره) بالعلامات التي تدل عليها . فعلامة الحلم السكينة والرزانة مع قيام أسباب الاستفزاز ، ومع القدرة على تعجيل الايقاع والانتقام ، ولا بدّ من تكرر الأحوال التي تظهر فيها هذه العلامة حتى يصل العقل بنظره الاستقرائي الى أن ماوراءها هو الحلم لا العجز ، وعلامة الغضب تتبين في الحركات ، وتظهر على الوجه ، وبالأخص في العينين ، ويفهمها الانسان من أول وهلة . من غير نظر ولا تروّ ، غير أنه لابدّ من التأمل في أسباب الغضب في كل مرة يحدث فيه ، حتى يستنتج أنه إنما يحصل للجد والحق لا للأهواء والشهوات

وأما العقاب المؤلم ، فهو من المعاني العقلية الصرفة باعتبار أنه من قبيل الفعل الغامز المقابل لبقية الأغراض ، فاذا اعتبر فعلا خاصاً فتارة يكون معقولا كحرمان المعاقب من الرضا مثلا ، وتارة يكون محسوساً كضربه بالسوط مثلا .

فتلخص أن المعاني الأصلية التي أودعها الحطيئة في ذلك البيت ثلاثة ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأن طرق إدراكها مختلفة بين الوجدان ، وبين الفهم مع التعقل ، وبين الحسّ أو العقل الصرف ، غير أن المعنى الأول وهو حلم القوم صاغه الشاعر في قالب تخيلي اختراعيّ ، حيث صوّر بهيئة الحكم الحمليّ الايجابيّ ، وحالة القوم المالكين لنفوسهم ، الموطنين لها على تحمل آلام التعدّي أو المخالفات والصبر عليها أزمانا طوالا[1] رغبة في السرور الذي تناله بارجاع المخالفين الى الحسنى بحالة الرائضين للخيل ، الصابرين على حرانها ، طلبا للذة تذليلها والانتفاع بها ، أو بحالة السائسين للرعايا ، المتحملين لتعللاتها ، انتظاراً للفرح بسلوكها الجادّة القويمة ، ولا يخفى ما دخل في تركيب ذلك التخيل الاختراعيّ من المعاني وهي (السياسة) و (الأشخاص) التي نسبت اليهم و (العقول) المسوسة و (طول الثاني) الموصوفة به العقول ، فالأشخاص إدراكها حسيّ ، وما عداها فعقليّ

ثم إن المعنى الثالث[2] وهو عقاب القوم المؤلم أفاده ضمناً في قوله (جاء المفيظة والجدّ) حيث جعل غضبهم هو الغضب الحقيقيّ ، والجدّ الذي لاهزل معه . وهذا يستلزم استتباع حفيظتهم للنكال ، وتلك هي الحكمة في صوغ المعنى الثاني في صيغة الحكم الشرطيّ الايجابيّ — والبيت الثاني وهو :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدوا

وضح فيه مطلوبه من اللائمين وما يتمناه فيهم ، فتمنى فيهم — ونعوذ بالله — الخذلان وعدم الناصر ، وهو معنى متصوّر له عقلا ، وتمنيه معروف له بالوجدان ، وطلب منهم أحد أمرين : إما ترك لوم الممدوحين ، واما القيام مقامهم ، وكلّ منهما معنى متصوّر عقلا ، وكلّ من رغبة الأول وكراهة الثاني — لو أمكن حصوله وجدانية — وطلب حصول المعنى الثاني مبين بصورة اختراعية يتناولها الحس في البناء — والبيت الثالث وهو :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

---

(١) في الاصل طويلا أزمانا ولعله من سهو النسخ (٢) قوله المعنى الثالث يريد به الثالث من الصفات المودعة في البيت التي ذكرها عقب ذكره وهي الحلم والغضب والعقاب — لا المعاني التخيلية التي للاول منها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسفر فيه عن ثلاث صفات : إحكام الأعمال ، والوفاء بالمعاهدات ، والدّوام على صفاء المحالفات ، أما الصفة الأولى فهي معنى عقليّ قامت لدى الشاعر الدلائل الحسية والمعنوية على اتصاف القوم به ، فصوره بصورة تخيلية اختراعية ضمنها الحكم الشرطي الايجابيّ المحتوي على معنى البناء الحسيّ ومعنى الاحسان المعنوي المنسوب الى الأشخاص المدركة بالحس ، وكل من الصنفين الآخرين معنى وجداني معبر عنه بصيغة الحكم الشرطي الثبوتي ، وكلتاهما تحتاج الى نظر ودليل في ثبوتهما للقوم ، والصفة الأخيرة وبيتها الشاعر على أسلوب تخيلي لاتخفى المعاني التي تكون منها . . . . . الخ

ومن يتفهم باقي هذا الشعر كغيره من كلام العرب نظما ونثراً على الكيفية التي شرحنا بها معاني الأبيات السابقة يتضح له أن عقول العرب كانت نيّرة ، مدربة على ملاحظة الأمور ، متفطنة لدقائقها ، ماضية في استحضار المعاني ومقارنتها ، مصيبة في النظر بين أطرافها ، وتقرير النسب بينها ، قادرة على كشف خفاياها وإبراز المعقول منها في صورة المحسوس . ولا يخفى أن ذلك نتيجة تربيتها الفكرية على الطريقة الطبيعية العملية

بيان الطرق العمومية

﴿لأجل الوصول الى مثل التربية العربية وتكميلها في أمتنا بواسطة المدارس خصوصاً﴾

لا شك أن الطريقة التي كانت مستعملة في التربية العربية جديرة بأن نعمل بها ، غير أن مقتضيات الأحوال في زماننا الحاضر ومكاننا الخاص توجب علينا اتباع تلك الطريقة بعد أن ندخل فيها من التكميلات ماتكون به موافقة لحالتنا الحالية . وهذه التكميلات تنتظم في سلك جملة أنواع

﴿ الأول ﴾ لما كان النوع الانساني في العصر الحالي بالغاً مبلغاً عظيما في المدنية المحتاجة إلى سعة المعارف وإتقان ضبط الأمور ، لزم أن تكون الطريقة في تربية الناشئة هي تعليمهم باللسان والقلم معاً ، ليكون الفهم منها ذا أذنين ، والكلام ذا لسانين . ومن أجل ذلك كان من أصول التربية المتحمة في أيامنا هذه تعليم كل إنسان القراءة والكتابة ، لأن محاربة الأمية في عصرنا هي الجهاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأكبر، واستئصالها هو فتح الفتوح

(الثاني) بما أن أحوال الوقت الحالي أوجبت أن يكون الطرف الأعظم من التربية حاصلا في (المدارس) تعين بسبب الاجتماع المدرسي أن يكون كل نوع من أنواع التربية التي شرحناها آنفاً على كيفية خاصة كافلة بالنجاح

الكيفية التي يجب أن تكون عليها التربية الفكرية في المدارس

هذه الكيفية لابد في حصولها من جملة أمور

(الأول) أن تقسم التلامذة فرقاً على حسب درجات عقولهم ومقدار معارفهم، وأن يخصص لكل فرقة المكان المناسب لها، المستوفي للشروط الصحية، وأن ينتخب لها من يليق من المربين والمعلمين الذين تحلوا بصفات الكمال

(الثاني) أن يعطى لكل فرقة في زمن محدد مقدار من العلوم أو الفنون مناسب لمداركها، ولائق بذلك الزمن بحيث يمكن تقريره في مدته تقريراً تاما

(الثالث) أن يعين لكل علم أو فن الوقت المناسب له من اليوم والاسبوع على حسب أهميته ومقدار منفعته

(الرابع) أن تعتبر القراءة والكتابة أساس التعليم فتضمن الأصول التي تتفرع منها العلوم والفنون

(الخامس) أن يكون التعليم على الطريقة العربية التي شرحناها بحيث يبتدىء بالمحسوسات، ثم يعقب المعنويات، ويقدم السهل على الصعب، والمعلوم قبل المجهول، ويكون في جميع الأحوال إرشاداً جميلا عربيا لجميع القوى العقلية باعثاً للشوق الى المعارف

(السادس) أن يكون درس الأشياء على نفس الأشياء بقدر الامكان بحيث لا يعين على صورها أو وصفها وتمثيلها بالكلام الا اذا تعذر احضارها، وأن يتوجه بالتلامذة حيناً فحيناً الى الأماكن التي يطلعون فيها على ذوات الأشياء الطبيعية والصناعية

(السابع) أن يكون في مقدمات التعليم تنوير عقول التلامذة بنور الدين الحنيفي وتغذيتها بالحكم العربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتاب ابن تيمية

الى الشيخ ناصر المنيجي

هؤلاء الذين تكلموا في هذا الامر لم يعرف لهم خبر من حين ظهرت دولة التتار وإلا فكان الاتحاد القديم هو الاتحاد المعين وذلك أن القسمة رباعية فان كل واحد من الاتحاد والحلول اما معين في شخص واما مطلق، أما الاتحاد والحلول المعين كقول النصارى والغالية في الائمة من الرافضة وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية فانهم يقولون به في معنى اما بالاتحاد كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة والقبط ، واما بالحلول ،وهو قول النسطورية، واما بالاتحاد من وجه دون وجه وهو قول الملكانية

(وأما الحلول المطلق) وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء فهذا تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك

وأما ماجاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم اليه الا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة : وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وان وجود ذات الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا انه رب العالمين ولا انه غني وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق واكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة امرهم لانه أمر مبهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(الاول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ذاتها أبدية أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك . ويقولون إن الله سبحانه لم يعط أحداً شيئا ولا أغنى أحدا ولا أسعده ولا أشقاه وإنما وجوده فاض على الذوات فلا تحمد إلا نفسك ولا تذم إلا نفسك، ويقولون ان هذا هو سر القدر وان الله تعالى انما علم الاشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم خارجا عن نفسه المقدسة، ويقولون ان الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم، وانهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكونون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد، وانهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه لانهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي به الرسل، ويقولون انهم لم يعبدوا غير الله ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وان عباد الاصنام ما عبدوا الا الله سبحانه، وان قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) معنى حكم لا معنى أمر فما عبد غير الله في كل معبود فان الله تعالى ما قضى بشيء الا وقع، ويقولون ان الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو فانه ما عدم من البداية، فيدعى الى الغاية، وان قوم نوح قالوا (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا) لانهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم، لان الحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه وينكره من أنكره، وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى عبد، فان الجاهل يقول هذا حجر وشجر، والعارف يقول هذا محل الهي ينبغي تعظيمه فلا يقتصر، فان النصارى انما كفروا لانهم خصصوا، وإن عباد الاصنام ماأخطأوا الا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر، والعارف يعبد كل شيء، والله يعبد أيضا كل شيء لان الاشياء غذاؤه بالاسماء والاحكام وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير اليها وهي فقيرة اليه، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى، ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة واضافة بين الوجود والثبوت وليست امورآ عدمية، ويقولون « من أسمائه الحسنى العلي عن ماذا وما ثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات وهي العلية لذاتها وليست الاهو، ومانكح سوى نفسه، وما ذبح سوى نفسه . والمتكلم هو عين المستمع » وان موسى انما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه ، وان موسى كان أوسع في العلم فعلم انهم لم يعبدوا الا الله، وان أعلى ماعبد الهوى، وان كل من اتخذ الهه هواه فما عبد الا الله. وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين وقد صدقه السحرة في قوله أنا ربكم الاعلى ، وفي قوله ما علمت لكم من اله غيري ، وكنت اخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم انهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون(١) وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات،

(١) كذا في الاصل وراجع في رسالة ابطال وحدة الوجود (ص١١٧) من مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاحياء منهم والاموات (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم)

والمقصود أن حقيقة ماتضمنه كتاب الفصوص المضاف الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه جاء به وهو ما اذا فهم المسلم بالاضطرار(١) أن جميع الانبياء والمرسلين وجميع الاولياء والصالحين بل جميع عوام أهل الملل من اليهود والنصاري والصابئين يبرؤن الى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله. ونعلم أن المشركين عباد الاوثان والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق البارىء المصور — الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور — ربهم ورب آبائهم الاولين — رب المشرق والمغرب. ولا يقول أحد منهم انه عين المخلوقات، ولا نفس المصنوعات، كما يقوله هؤلاء، حتى انهم يقولون لو زالت السموات والارض زالت حقيقة الله. وهذا مركب من أصلين

(أحدهما) أن المعدوم شيء ثابت في العدم كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والاجماع وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر كفر من يقول بهذا وانما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالاشياء قبل كونها وانها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى

(١) كذا في الاصل وفيه ماترى والمعنى ان ما في كتاب الفصوص من أمثال ماذكر يفهم كل مسلم أنه مخالف لدين الله على ألسنة جميع رسله وانه مما يتبرأ منه عوام جميع الملل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها فيفرقون بين الوجود العلمي وبين الوجود العيني الخارجي

ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم) فذكر المراتب الاربع وهي الوجود العيني الذي خلقه، والوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي، وبين أن الله تعالى علمه. ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم، فانه مستلزم المراتب الثلاثة وهذا القول - اعني قول من يقول ان المعدوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى - وان كان باطلا ودلالته واضحة لكنه قد ابتدع في الاسلام من نحو اربعمائة سنة. وابن العربي وافق أصحابه وهو أحد أصلي مذهبه الذي في الفصوص

(والاصل الثاني) أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه. وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن العربي أقربهم الى الاسلام وأحسن كلاما في مواضع كثيرة، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر فيقر الامر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الاخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم فينتفعون بذلك وان كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله

(وأما) صاحبه الصدر الرومي فانه كان متفلسفا فهو أبعد عن الشريعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاسلام، ولهذا كان الماجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول كان شيخي القديم متروحنا متفلسفا والآخر فيلسوفا متروحنا - يعني الصدر الرومي - فانه كان قد أخذ عنه ولم يدرك ابن عربي في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود(١) وغيره يقول إن الله تعالى هو الوجود المطلق والمعين كما فرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين والجسم المطلق والجسم المعين. والمطلق لا يوجد الا في الخارج مطلقا لا يوجد المطلق الا في الاعيان الخارجة. فحقيقة قوله انه ليس لله سبحانه وجود أصلا ولا حقيقة ولا ثبوت الا نفس الوجود القائم بالمخلوقات . ولهذا يقول هو وشيخه ان الله تعالى لا يرى أصلا، وانه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده — تعالى الله عما يقولون

(وأما) الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر فانه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه. وان العبد انما يشهد السوى مادام محجوبا فاذا انكشف حجابه رأى انه ما ثم غير يبين له الامر . ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول البنت والام والاجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا وانما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم . وكان يقول القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وانما التوحيد في كلامنا. وكان يقول انما امسك شريعة واحدة ، واذا أحسن القول يقول القرآن يوصل الى الجنة وكلامنا

(١) قوله: في كتاب الخ القطر المصري وكتاب مفتاح غيب الجمع والوجود للصدر الرومي الذي نعرفه نحن وقوي هذا ما علمناه من كلام نقل مذاهبهم من كتابه هذا على ضلالته

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يوصل الى الله تعالى .وشرح الاسماء الحسنى على هذا الاصل الذي له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء وشعره في صناعة الشعر جيد ولكنه كما قيل: لحم خنزير في طبق صيني.وصنف للنصيرية عقيدة. وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه

(وأما) ابن سبعين فانه في البدو والاحاطة يقول أيضا بوحدة الوجود وانه ماثم غير ،وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك لكن لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمساني أو قول الرومي أو قول ابن العربي وهم الى كلام التلمساني أقرب ، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ماكفره أحد قط مثل التلمساني وآخر يقال له البلبأني من مشايخ شيراز ومن شعره

وفي كل شيء له آية تدل على انه عينه

وأيضا :

وما أنت غير الكون بل انت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائقه

وأيضا :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لاني في التحقيق لست سواكم

وأيضا :

ما بال عيسك لا يقر قرارها وإلام ظلك لايني متنقلا
فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليك اذا بلغت المنزلا

وايضا :

ماالامر الا نسق واحد مافيه من حمد ولاذم
وانما العادة قد خصصت والطبع والشارع في الحكم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأيضا :

ياعاذلي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهاء وأمّار
فان أطعك وأعص الوجد عدت عمى عن العيان الى أوهام أخبار
فعين ماأنت تدعوني اليه اذا حققته تره المنهيّ ياجارى

وأيضا :

وما البحر الا الموج لاشيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد

الى امثال هذه الاشعار، وفى النثر مالا يحصى، ويوهمون الجهال أنهم مشايخ الاسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق فى الامة مثل سعيد بن المسيب والحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز ومالك ابن أنس والاوزاعي وابراهيم بن ادهم وسفيان الثورى والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي والشافعي وابي سليمان واحمد بن حنبل وبشر الحافي وعبد الله بن المبارك وشقيق البلخي ومن لا يحصى كثرة الى مثل المتأخرين مثل الجنيد بن محمد القواريرى وسهل بن عبد الله التستري وعمر بن عثمان المكى ومن بعدهم الى أبي طالب المكي الى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ أبي مدين والشيخ عقيل والشيخ أبي الوفاء والشيخ رسلان والشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الله اليونيني والشيخ القرشي وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الاولين والآخرين .

كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم وان الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءا من خلقه ولا صفة لخلقه بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جاءت الكتب الاربعة الالهية من التوراة والانجيل والزبور والقرآن وعليه فطر الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت العقول

وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الاسلام وان هؤلاء مقدمة الدجال الاعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ولكن بعض الاشياء أكبر من بعض وأعظم، واما على رأي صاحب الفصوص فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لعظم ذاته الثابتة في العدم. وأما على رأى الرومي فان بعض المتعينات يكون أكبر فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض. وأما على البقية فالكل اجزاء منه وبعض الجزء اكبر من بعض. فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين واكبر من الرسل بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى الذي قيل فيه انه الله تعالى وهو بريء من ذلك على مسيح الضلالة الذي قال انه الله

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «انه أعور(١)» وكونه قال «واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت» وابن الخطيب انكر أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لان ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال أبين من أن يستدل

(١) تتمة الحديث «وان الله ليس بأعور» رواه الشيخان من حديث ابن عمر وهذا لفظ البخاري وهذه الجملة هي محل التعجب الذي حمل ابن الخطيب وهو الفخر الرازي على انكار الحديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه بأنه أعور فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية وتدبرنا ماوقعت فيه النصارى والحلولية ظهر سبب دلالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامته بهذه العلامة فانه بعث رحمة للعالمين فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر أو يقول انه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلا على انتفاء الالهية عنه

وقد خاطبني قديما شخص من خيار أصحابنا كان يميل الى الاتحاد ثم تاب منه وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه وجاء الينا شخص كان يقول انه خاتم الاولياء فزعم أن الحلاج لما قال أنا الحق كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه كما يتكلم الجني على لسان المصروع وان الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان من هذا الباب . فبينت له فساد هذا وانه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران وكان من خاطبه هؤلاء أعظم من موسى لان موسى سمع الكلام الالهي من الشجرة وهؤلاء يسمعون من الجن الناعق. وهذا يقوله قوم من الاتحادية لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب اليه الفاجر التلمساني وذووه وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية

وقد كان سلف الامة وسادات الائمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما وانما كانوا يلوحون تلويحا وقد ان كانوا يصرحون بأن ذاته في مكان

وأما هؤلاء الاتحادية فهم أخبث واكفر من اولئك الجهمية ولكن السلف والائمة أعلم بالاسلام وبحقائقه فان كثيرا من الناس قد لا يفهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ، يرزق نور الهدى فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه ، وهذا كما قال بعض الناس: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء . وذلك لان متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد فهو يصف ربه بصفات العدم والموات

وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد والقلب لا يقصد الا موجوداً لا معدوما فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود المطلق واما بعض المظاهر كالشمس والقمر والبشر والاوثان وغير ذلك، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم، وهم لا يوحدون الله سبحانه وتعالى وانما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات، فهم برهم يعدلون. ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى الهند وقال ان ارض الاسلام لا تسعه، لان الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان

وهذا حقيقة قول الاتحادية واعرف ناسا لهم اشتغال بالفلسفة والكلام وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا ليس بكذا ليس بكذا ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات كما يقوله المسلمون، لكن يجحدون صفات الخالق التي جاءت بها الرسل عليهم السلام واذا صار لاحدهم ذوق ووجد تأله وسلك طريق الاتحادية وقال انه هو الموجودات كلها . فاذا قيل له اين ذلك النفي من هذا الاثبات ؟ قال : ذلك وجدي ، وهذا ذوقي . فيقال لهذا الضال كل ذوق ووجد لا يطابق الاعتقاد فأحدهما أو كلاهما باطل وانما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات فان علم القلب وحاله متلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والحال . ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

امروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، واتبعوا طريق السابقين الاولين، لسلكوا طريق الهدى ووجدوا برد اليقين وقرة العين فان الامر كما قال بعض الناس ان الرسل جاؤا باثبات مفصل ونفي مجمل، والصابئة المعطلة جاؤا بنفي مفصل واثبات مجمل، فالقرآن مملوء من قوله تعالى في الاثبات (إن الله بكل شيء عليم * وعلى كل شيء قدير * وانه سميع بصير * وسع كل شيء رحمة وعلما) وفي النفي (ليس كمثله شيء * ولم يكن له كفوا احد * هل تعلم له سميا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)

وهذا الكتاب مع اني قد اطلت فيه الكلام على الشيخ ايده الله تعالى بالاسلام ونفع المسلمين ببركة انفاسه وحسن مقاصده ونور قلبه فان مافيه نكت مختصرة، بلا يمكن شرح هذه الاشياء في كتاب، ولكن ذكرت للشيخ احسن الله تعالى اليه ما اقتضى الحال ان اذكره - وحامل الكتاب مستوفز عجلان، وانا اسأل الله العظيم ان يصلح امر المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويهديهم الى مايقربهم، وأن يجعل الشيخ من دعاة الخير الذين قال الله سبحانه فيهم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) انتهى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجامعة الاسلامية و الجامعة الشرقية

كتب إلي الاستاذ أبو الحسنات الهندي أحد أعضاء دار المصنفين في (أعظمكده ـ الهند) رحمه الله تعالى الكتاب الآتي بعد اطلاعه على قانون جمعية الرابطه الشرقية في المنار وهو من دعاة الجامعة الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة المفضال مولانا السيد رشيد رضا صاحب المنار سلاماً سلاماً

لقد سرني ما قرأت في صفحات الجرائد الأردوية : أن عصبة من أصحاب النعرة والغيرة على الشرق من أهل مصر قامت باصلاح شئونه وترقية شعوبه ، وإخراج أهله من الذلّ والانحطاط الذي وصلت اليه هذه الأمم الشرقية غايته — وألفت جمعية موسومة بجمعية الرابطة الشرقية ، تكون مصر مركزاً لها ، وتكون للجمعية شعب في كل قطر من الأقطار الشرقية — وزاد فرحي إذ رأيت اسمكم الشريف من جملة بانيها ومؤسسيها ، وكان هذا الفرح والسرور بما أني أحسن الظن بكم ، فانكم لستم كعامة علماء زماننا هذا ، لا يفرقون القشر من اللباب ، والماء من السراب

بينما كنت في هذا الفرح والسرور إذ وصلتني الأجزاء (الأول والثاني والثالث) لمجلة المنار الغراء من مجلدها الثالث والعشرين ، وقرأت في فاتحة هذا المجلد ما نصه :

« جرينا على منهج الأمامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة ، وجمع كلمة الأمة ، بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن . . . . ألا وأنه قد أتى الأوان للعمل بما أرشد اليه الامامان ، حتى كأنهما كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من أهل مصر والسودان ، وسائر العرب والهند والترك والفرس والأفغان »

فازددت فرحا على فرح ، وبشرت نفسي كما حررتم في هذه الفاتحة « بأن ليل الذل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعبودية قد عسعس ، وصبح العزة والحرية قد تنفس » ولكن يا ليتها الا مثل ما كان أقصر زمن فرحي وسروري لما طالعت في الجزء الثالث مقاصد الجمعية وأغراضها ، ووجدت الصراحة فيها بأن ﴿ غرض الجمعية نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية وتعميمها ، وتوسيع نطاقها ، وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين الأمم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها ﴾

فالألفاظ الأخيرة وإن كانت متشابهة بألفاظ السيد جمال الدين الأفغاني طاب ثراه . ولكن غرضكم الحقيقي من هذه الجمعية ليس ما كان غرض السيد المرحوم كما لا يخفى على الناظر في مقاصد جمعيتكم بأول النظر

أيها الحبر الاعظم : إن مقصد السيد المرحوم الذي قد وجه اليه أفكاره وبذل في سبيل جهده قواه ، وكتب على نفسه السعي اليه مدة حياته ، وأصابه ما أصابه من البلاء في سبيله ، هو انهاض ما بقي من الدول الاسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤنها ، تحت ظل الخلافة العظمى ، حتى تصير الأمة الاسلامية من الأمم العزيزة ، فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيفي مجد كان له في الأيام السالفة[1] ولما كان النجاح بهذا العمل الجسيم موقوفا على تقليص ظل الدول الغربية عموما عن رءوس الطوائف الاسلامية ، وعلى تنكيس الدولة البريطانية ، خصوصا في الأقطار الشرقية — بدأ السيد المرحوم هذا الجهاد الأكبر باصلاح ذات بين الشرقيين عموما ، والمسلمين خصوصا ، » وبتقوية الصلات العمومية بين الامم ، وتمكين الألفة في أفرادها ، وتأييد المنافع المشتركة بينها ، وبالتنبيه على أن التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة ، هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية ، وبالتنقيب عن المسالك الدقيقة التي يسري بها الطامعون في دياجر الغفلات »[2]

---

(١) هذا الغرض مقتبس من ترجمة الاستاذ الامام للسيد المنشور في أول ترجمته لرسالة السيد في الرد على الدهريين بمصر (٢) هذا ماخوذ من منهج العروة الوثقى بصرف ما (راجع ص ٢٢٢ من الطبعة الثانية للجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها العلامة المفضال ، هكذا كان سير السيد المرحوم وطريق عمله ، وترونه كما أراه في صفحات مجلته « العروة الوثقى » وهي المجلة التي نفخ السيد المرحوم بها الروح العالية : روح الحياة ، وروح النهضة ، التي نرى ذراتها متحركة وسارية يوما بعد يوم في الطبقة الراقية من أبناء الشرق ، فأين يامولانا مقاصده العلى من مقاصد جمعيتكم التي دعوتم اليها أرباب العلم والقلم من أبناء الشرق ؟ هل الجهل فقط هو داء الشرق ، ونشر العلوم وتوسيع نطاق المعارف فيه دواؤه ؟ هل تجزمون بأن التعارف العلمي والتضامن الأدبي يؤول على أبناء الشرق بالسعادة الدنيوية والدينية (التي) تسعد بها الأمم ؟ وهل تظنون أن قلوب أبناء الشرق تكون لها الطمأنينة ، وقريحتهم تكون لها السكينة ، ويد الأجانب عاملة في شؤونهم تدبر الأمر كيفما تشاء ؟ لا والله لا

نعم ربما يظن قوم في هذه الأزمان أيضاً ـ مع أن التجارب تعرض عنه والشواهد تنكره — أن نشر الجرائد ، وتأسيس المدارس ، وبث العلوم ، وتوسيع نطاق المعارف ، أدوية تعالج بها أمراض الأمم المصابة ، وإنها هي أسباب تكفل انهاض الأمم ، وتنبيه أفكارها ، وتقويم أخلاقها ، ولكن الحق أنه ليس الأمر كذلك ، المدارس في الشرق كثيرة ، والجرائد تزداد فيه أعدادها يوما بعد يوم ، وللعلوم والمعارف دور كثيرة في كل قطر من الأقطار . فمع هذه كلها ماهذا الذل والفقر والعبودية ؟ هل صارت بوجود هذه الأسباب التي يظن سعادة الأمم نتيجة لها أحسن حالا مما كانت عليه قبل زماننا هذا ؟ هل استنقذت أنفسها من أنياب الفقر والعسرة ؟ هل نجت بها من ورطات الذل والعبودية ؟ هل أحكمت الحصون ، وسدّت الثغور ؟ هل نالت بها المنعة والمنة [1] التي تدفع بها غارة الأعداء ؟ لا والله لا

فمع هذا كله الى أي شيء تدعون الأمم الشرقية عموما والمسلمين خصوصاً وإلى أي سبيل مسيركم ؟

---

(١) المنة بالضم كالقوة لفظا ومعنى . وهذه المسألة مأخوذة بالمعنى من مقالة العروة الوثقى التي نشرناها بعنوان (ماضي الامة وحاضرها وعلاج علتها)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واعلموا ايها الاخلاء أن أول أمر يجب الاهتمام به هو معرفة أصل الداء وأسبابه الحقيقية — أيمكن لطبيب يعالج مريضاً أن يختار له نوعا من العلاج قبل أن يعرف ما عرض له من المرض ، وما هو سببه ؟ كلا ثم كلا ، نعم يمكن أن يكون هذا سير من ليس له الحظ الأوفى من الحذق والكمال ، ويكون متطبباً لا طبيباً . فعلى الطبيب الحاذق أن يهتم قبل كل شيء بمعرفة أصل الداء وأسبابه ، ثم بطريق علاجه وتعيين دوائه ، لكي لا يكون الداء أصعب والدواء أعز . فان معالجة المرض قبل تعيين أسبابه لا تزيد الا شدة في المرض ، وصعوبة على المريض ، بل ربما تفضي به الى الموت » فأقول :(وهذا قولي في مسئلة الأمة المسلمة . وأما مسئلة الأمم الشرقية فقد مر الآن بصددها ، ويمكن أن أجرد لها فصلا آخر إن ساعدتني الفرصة) :

إن أول مرض لحق الأمة المسلمة هو تشتت أهوائها ، وتخالف أميالها ، الذي فرق جمعها وبدد شملها ، حتى ذهب كل واحد منها الى ماقاده اليه هواه من غير أن يراعي جانب الأمة ، ويستحفظ فوائدها ، أو أن يلتفت الى مايسها ، ويهم بالدفاع عنها

انظروا أيها الفاضل الجليل كيف كان بدء الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية من جهة دينها ودنياها عند ما انفصلت الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة على عهد العباسية ، حيث قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يستجمعوا شرف العلم والتفقه في الدين ، فكثرت بذلك المذاهب ، وانفصلت فيها المسالك ، ووقع في الدين الاسلامي تشعب لامثيل له في دين من الأديان وكان هذا في مستهل القرن الثالث من الهجرة النبوية ، وبعد ذلك عمت هذه السيول ، وانتشرت على كل قطر من أقطار العالم الاسلامي ، حتى ما بقي موضع يسكن فيه الاثنان من المسلمين إلا وهما المختلفان في المذهب ، هذا من جهة دينهم . وأما من جهة دنياهم فاشتد ذلك الخلاف ، وزاد بظهور الدول الذين أوقعوا بالمسلمين قتلا وإذلالا ، حتى أذهلت الامة عن أنفسها وتسلطت الوشائج ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وانفصمت عرى الاتصال بينهما ، فتفرق الشمل بالكلية ، وافترق الناس فرقا وشيعاً (١)

هذه هي الداهمة التي دهمت الأمة المسلمة ، وطوحتها في غيابة الذل والهوان وقعر الخمول والسكران ، (٢) وما انتبهت وصحت إلى يومنا هذا انتباها صحيحاً وصحواً كاملا، فالأمر واضح، والطريق ليس بملتبس على من يريد أن يسلك في سبيل ايقاظها وإنهاضها طريقاً مستقيما غير معوج ، وما هو إلا السعي في سبيل توحيد كلمتها ، وتشديد ارتباط بعضها مع بعض — هذه كلمة صدق قلتها لكم ، وأريد أن أقولها مرة بعد أخرى ، فان قلبي قد ملىء بها إذعانا وايقانا ، وخاصة في زماننا هذا ، خير الأمور التي تستحق أن يجهد في سبيله من يريد الجهاد في سبيل الأمة وسبيل الدين ، بل وفي سبيل الله ، هو أن يجاهد في جمع الكلمة المتفرقة لمسلمي العالم حيثما يمسون، وفي أي قطر يصبحون ، لأن التشتت والتفرق فقط هو (أدوى) داء حلّ بهم ، وأهبطهم في هاوية ، وما أدراكم ماهيه ، إنها هي كون المسلمين عبيداً للأجانب حتى في أوطانهم ، بعد ما كانوا مولى العالم في الشرق والغرب .

وهاهي (ذي) حقيقة ثابتة لا يسعها الخلاف ، جديرة بأن تنظروا اليها . إن الأمة المسلمة قوية الرجاء بين الأمم ، لا تقنط قنوطا يحكم عليها بالهبوط الثابت، وبالسبات الدائم ، بل كلما قامت لها قيامة رقدت من نوم غفلتها (؟) وانتبهت فقامت وسارت سير التقدم والرقي . ألا ترون أنها بعد ما صدمت بصدمات غارات التتر والحروب الصليبية جمعت بعد زمن يسير تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ، وساقت الجيوش إلى أنحاء العالم ، ودوّخت البلاد ، وأرغمت أنوف السلاطين ، حتى دانت لها الدول الافرنجية ، ونفذت أوامرها في الشرق والغرب ؟ لا ريب في أن هذه الأيام كانت للأمة المسلمة أياما بيضاء حسانا ، كأنما رجع لها الدهر بأيام الخلافة العباسية التي لا نظير لها في تاريخ الأمة . ثم بعد ذلك بحكم (وتلك

(١) اقتبس الكاتب العبارة في بدء الانحلال والضعف من مقالة العروة الوثقى التي نشرناها في تاريخ الاستاذ الامام (ج ٢) بعنوان (انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك (٢) السكران بالتحريك مصدر سكر كالسكر بالضم والسكون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأيام تداولها بين الناس) قلب لها الدهر ظهر المجن ، فأخذت تنزل من منزلتها الرفيعة ، ودست لها الدول الافرنجية الدسائس ، ففرقت كلمتها ، ومزقت جمعيتها ، حتى مابقيت دار من دور المسلمين الا فيها الأمر والحكم للأجانب الا ما شاء الله

ومع هذا كله أرجعوا البصر إلى ماوقع في زماننا هذا من انتصار الجيوش الاسلامية القاهرة تحت قيادة سيف الله المسلول ، آية من آياته الكاملة ، الغازي مصطفى كمال باشا أيده الله بنصر مزيد ، فانها لما سمعت انتصاره على اليونان ، وانتزاعه الدولة العلية من مخالب الأعداء ، فاهتزت لها نفوسها ، وأحدث هذا الفوز حركة قوية في طباعها ، حتى خافت عواقبها الدولة التي هي أقوى دول العالم وأعدى عدى الاسلام والمسلمين ، وجعل يسعى أربابها في تسكين جأشهم بقولهم الزور ان نعوذ بالله ان نكون من اعداء الاسلام والمسلمين (والله يعلم مايسرون وما يعلنون)

نعم قلت ان الأمة المسلمة هي قوية الرجاء ، ولها ميل شديد الى الوحدة كما هي اجتمعت بعد الانتشار تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ، فقويت بها شوكتها ، وارتقت ارتقاء أنهائيا ، مع هذا كله (نقول مما) لاريب فيه انه كان ما كان لها من جهة دنياها لا من جهة دينها . والحق أن سرّ ضعفها الحقيقي كان مضمراً في دينها . ولأجل ذلك مامضت من ايام شوكتها ايام تذكر ، حتى حصل السبات ونامت ، فكأنما كان لها ذاك الحراك تحولا من شق الى شق آخر في نومها

فأقول لكم يامولانا قول خير بصير : إنه لانجاح لمن يريد خدمة الأمة المسلمة إلا بدعوتها الى الاعتصام بحبل دينها ، والاقتداء بأحكام شريعتها ، فان الدين هذه الأمة وشريعتها سلطانا على أنفسها لا يماثله سلطان الحمية الوطنية والنعرة الجنسية ، فكلما دعيت اليها تحركت لها جؤوشها ، واهتزت لها نفوسها ، ولبت واجتمعت ، فحينئذ تتنزل الملائكة عليها ، ويؤيدها الله بروح منه ، ويتحقق معنى الآية المباركة (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فالشريعة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مورد هذه الأمة ومصدرها ، والمسلمون كلهم بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مجبولون على الوحدة ، والجبلة لاتزول ، وإن كانت الجبال عن مقامها تزول ، وكيف يمكن هذا والقرآن يتلى بينهم ، فيتلون منه صباحا ومساء الآيات المحرضة على الوحدة والوفاق (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وأمثالها كثيرة لاحاجة الى سردها هنا

فان قال قائل [1] مع تلك الآيات البينات المحكمات ، المحرضات على الوحدة والوفاق ، ما في المسلمين من التشتت والافتراق ، وهم هم في شدتهم في الدين ، والتمسك بعقائدهم الدينية ، والاحساس بداعية الحق في نفوسهم فأقول :

إن الأعمال وإن يكن منشؤها العقائد والأفكار ، ولكن يكون صدورها موقوفا على ضرورة وداعية تدعو الانسان الى إصدارها ، فلا يمكن الارتياب في هذا أن عقيدة المسلمين بالأخوة الدينية ، ثابتة موجودة في نفوسهم ، وما طلعت الشمس عليهم يوماً واحداً وهم عنها غافلون ، واما العلل الحقيقية في تباطؤهم عن ارتباط بعضهم مع بعض ، ونصرة إخوانهم في الدين فهي عديدة

(منها) زوال كل جامعة بين المسلمين في الأغلب ماعدا العقيدة الدينية المجردة عما يتبعها من الأعمال ، فهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل ، وانقطع التواصل ، وانعدم التعارف بينهم ، فمسلمو الهند في غيبة عن أحوال مسلمي المملكة العربية والتركية ، ومسلمو العرب وفارس في غفلة عن شؤون مسلمي الجزائر ومراكش.

(ومنها) إيقاد الأعداء نار التشتت والتخالف فى المسلمين وإغرائهم بعضهم على بعض بالحقد والضغينة ، حتى كاشفت الأمة الأفغانية بعداوة الأمة الفارسية ، وبارزت الأمة العربية مبارزة للأمة التركية ، وهكذا جاهرت القبائل منهم مجاهرة ضد قبائل أخرى (؟؟)

فزاد الويل والعويل ، وعقب خطب بعد خطب ، وحدث كرب بعد كرب ،

(١) قوله مع تلك الآيات الخ مضطرب ومراده منه الظاهر والسؤال والجواب مقتبسان من مقالة العروة الوثقى التي أشرنا اليها في الحاشية السابقة . لكن بسوء تصرف وزيادة ونقص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بانفعال أولي الأمر والرأي من المسلمين عن تأدية ما كلفهم الله تعالى من توحيد كلمتهم حينما يقع التشتت فيها ، وتوثيق روابطهم حينما تنفصم عروتها ، حتى قضى الدهر على المسلمين بالذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله ، فأصبحوا فقراء بعد ما كانوا أجلاء ، وأمسوا فقراء بعد ما كانوا أغنياء . ولا سبيل الى تخلص الأمة من هذه الرزايا التي حلت بها إلا بتوحيد كلمتها ، وجمع شتاتها ونظم شملها ، ولم شعثها ، فهذا ماعندى من الحق واليقين ، وأظن أن لايرتاب فيه العقلاء وأرباب الفكر السليم من المسلمين .

واعلموا يامولانا أن أكثر ما كتبت اليكم في هذا الكتاب هو من آراء السيد المرحوم الأفغاني تغمده الله برحمة منه . وإن كانت الألفاظ في شيء من العبارات مترادفة أو متخالفة متباينة . ففي خاتمة الكتاب مع الاطالة فيه لايحسنني [1] أن أختمه ولا أسألكم إرجاع النظر الى عبارة واضحة حسنة كتبها السيد المرحوم فيما نحن بصدده ، فخذوا هذا نصها :

«فيا أيتها الأمة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ، ودماؤكم فلا تريقوها ، وأرواحكم فلا تزهقوها ، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت . هذه هي روابطكم الدينية ، لاتغرنكم الوساوس ، ولا تستهويكم الترهات ، ولا تدهشكم زخارف الباطل ، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم ، واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي ، والفارسي بالهندي ، والمصري بالمغربي . وقامت لهم مقام الرابطة النسبية ، حتى إن الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر ، وأن تناءت دياره ، وتقاصت اقطاره . هذه صلة من امتن الصلات ساقها الله إليكم ، وفيها عزكم ومنعتكم ، وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها

ولكن عليكم في رعايتها أن تخضعوا لسطوة العدل ، فالعدل أساس الكون

---

(١) يريد أن يقول : انني على اطالة هذا الكتاب لايحسن مني أن أختمه قبل أن أسألكم رجع البصر الى عبارة للسيد الافغاني واضحة فى مقصدي وهذا نصها: وأقول ان هذه العبارة هى آخر مقالة للمصعب من مقالات العروة الوثقى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبه قوامه ، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم . وعليكم أن تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم ، ومعرفة الحقوق لأربابها ، وحسن المعاملة واحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم ، وجيرانكم من أرباب الأديان المختلفة ، فان مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم ، كما لا تقوم مصالحهم إلا بمصالحكم ، وعليكم أن لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان ، وذريعة لانتهاك الحقوق ، فان دينكم ينهاكم عن ذلك ، ويوعدكم عليه بأشد العقاب . هذا ولا تجعلوا عصبتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض ، بل تضافروا بها على مباراة الأمم في القوة والمنعة ، والشوكة والسلطان ، ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة ، والفضائل والكمالات الانسانية . اجعلوا عصبتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم ، واجتماع شملكم ، وأخذ كل منكم بيد أخيه ليرفعه من هوة النقص إلى شاهق الكمال (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

وفي رسالة أخرى سأعجلكم ببيان جامعة بين المسلمين وطريق اليام بها والدعوة اليها ، فان كتابي هذا قد طال . فتقبلوا مني في الختام أحسن التحية والسلام

أنا العاجز أبو الحسنات الندوي أحد رفقاء دار المصنفين

شبلي نزل أعظمكده (الهند)

(المنار) كتبت الى هذا العالم المصلح الغيور في مرجوع كتابه هذا بيانا للفرق بين الجامعتين الشرقية والاسلامية . ولون احداها تمزز الاخرى ولا تنافيها . وقد دعا موقظ الشرق السيد جمال الدين اليهما معا . ونبهته لاغترار اخواننا مسلمي الهند بالكماليين بعد اغترارهم بالاتحاديين ؟ إثر غرورهم بالسلطان عبد الحميد ، وسوّغ لي هذا ما بدأ به مصطفى كمال باشا من التمهيد لالغاء الخلافة بالفعل ، من جعلها روحية لا سلطان لصاحبها ولا حكم ، فرد على كتابي هذا بالكتاب الثاني ، وسننشره في الجزء الآتي

www.aiukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جمعية منكوبي الاعانة السورية

ألفت في القاهرة جمعية لتنظيم جمع الاعانات لمنكوبي سورية على أثر الدعوة التي أذاعها الرئيس الجليل سعد باشا زغلول وافتتح باب التبرع لها هو وأهل بيته وأعضاء الوفد المصري . وكان المؤسسون للجمعية قد ارتأوا أن تكون تحت رعاية عالية ، ورياسة سامية ، فطرقوا أبواب بعض كبار الأمراء ، فألفوا آذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وقد آن للناس أن يعرضوا عن ضخامة الألقاب ، وسمو الأنساب ، ولا يعولوا إلا على أولي الألباب ، فان قيمة النسب الصحيحة لا تعدو حسن تأثير الوراثة في لب الانسان وجوهره وهو العقل والقلب . على ان الجمعية قد ألفت من خيار البيوت المصرية والسورية حسبا وأدبا ، وأما رأيا ، وقد أظهر الأعضاء السوريون لاخوانهم المصريين رغبتهم في اسناد رياسة الجمعية إلى واحد منهم فقال صاحب المعالي فتح الله باشا بركات : بل الأولى ان تختاروا واحدا منكم ، لأن المصاب واقع على شعبكم وان كنا نحن والسوريون أمة واحدة باعتبار آخر ، وليس المقام هنا مقام مباراة في رياسة ، بل مقام تعاون على تخفيف آلام نكبة نشعر بها كلنا وأنا مستعد للعمل معكم تحت رياسة أصغركم سنا ، فحبذ قوله هذا أصحاب السماحة والسعادة والعزة عبد الحميد البكري وأحمد شفيق باشا وعبد الحميد بك سعيد فلم يسعنا معشر السوريين إلا اتباع اجماعهم فاعتزلنا الجلسة وانتخبنا الأمير ميشيل لطف الله لما له من السابقة الحسنة في أمثال هذه الجمعيات الخيرية سعيا وإدارة ومساعدة

هذا وان شاعر مصر أحمد شوقي بك الملقب بأمير الشعراء بغير منازع — وشاعر الشام خير الدين افندي الزركلي قد نظم كل منهما قصيدة في كارثة دمشق وثورة سورية أنشدتا في حفلة حافلة لجمعية الاعانة ، فرأينا ان ننشرهما في المنار وهذا نص الأولى

سلامٌ من صبا (بَرَدَى) أرقُّ ... ودمعٌ لا يُكفكَفُ يا دمشقُ

ومعذرةُ اليراعةِ والقوافي ... جلالُ الرزءِ عن وصفٍ يدِقُّ

وذكرى عن خواطرها لقلبي ... اليكِ تلفُّتٌ أبداً وخفقُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبي مما رمتك به الليالي ... جراحات لها في القلب عمق
دخلتكِ والأصيل له ائتلاقٌ ... ووجهكِ ضاحكُ القسمات طلق
وتحت جنانكِ الأنهار تجري ... وملء رُباكِ أوراقٌ ورُزق
وحولي فتيةٌ غرٌّ صباحٌ ... لهم في الفضل غاياتٌ وسبْقُ
على لهواتهم شعراء لسنٌ ... وفي أعطافهم خطباء شُدق
رواةُ قصائدي فاعجبْ لشعر ... بكلّ محلة يرويه خلقُ
غمرت إباءهم حتى تلظت ... أنوف الأسد واضطرم المدق
وضجّ من الشكيمة كل حرّ ... أبيّ من أمية فيه عِتق

***

لحاها الله أنباءً توالت ... على سمع الوليّ بما يَشُقُّ
يفصّلها الى الدنيا بريدٌ ... ويُجملها الى الآفاق برْقُ
تكادُ لروْعة الأحداث فيها ... تُخالُ من الخرافةِ وهي صدق
وقيل معالم التاريخ دُكت ... وقيل أصابها تلفٌ وحرقُ
ألستِ دمشق للاسلام ظِئراً ... ومرضعةُ الأبوّة لا تُعقُّ
صلاح الدين تاجكِ لم يُجمَّلْ ... ولم يُوسَم بأزين منه فرْقُ
وكل حضارة في الأرض طالت ... لها من سرحك العلويّ عرق
سماؤكِ من حلى الماضي كتابٌ ... وأرضكِ من حلى التاريخ رَقُّ
بنيتِ الدُّولة الكبرى وملكا ... غبارُ حضارتيه لا يُشقُّ
له بالشام أعلامٌ وعُرْسٌ ... بشائرهُ بأندلسٌ تُدَقُّ

***

رباع الخلد ويحك ما دهاها ... أحقٌّ أنها دَرَست أحقُّ
وهل غرف الجنان منضّداتٌ ... وهل لنعيمهنّ كأمس نسقُ
وأين دُمى المقاصر من حجال ... مُهتكةٍ وأستار تُشقُّ
برزْن وفي نواحي الأيْك نارٌ ... وخلف الأيك أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمنَ السلامة من طريق ... أتيْنَ من دونه الموت طرقُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليل للقذائف والمنايا وراه سماؤه خلقٌ وعمقُ
إذا عصف الحديد احمرَّ أفقٌ على جنباته واسودَّ أفقُ
علي من راع غيلك بعد وهن أبين فؤاده والصخر فرقُ
وللمستعمرين وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترقُّ
وماكٍ بطيشه ورمى فرنسا أخو حرب به صلف وحمق
إذا ما جاءه طلاب حقٍّ يقول عصابة خرجوا وشقوا

***

هم الثوَّار تعرفه فرنسا وتعلم أنه نورٌ وحقُّ
جرى في أرضها فيه حياةٌ كنهل السماء وفيه رزقُ
بلادٌ ماتَ فيتها لتحيا وزالوا دون قومهم ليبقوا
وحُرِّرت الشعوب على قناها فكيف على قناها تُسترقُّ

***

بني سورية اطَّرحوا الأماني وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خِدَع السياسة أن تغروا بألقاب الإمارة وهي رقُّ
وكم صيدٍ بدا لك من ذليل كما مالت من المصلوب عنقُ
فتوقُ الملكِ تحدثُ ثم تمضي ولا يمضي لمختلفين فتقُ
نصحتُ ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الله شرقُ
ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غيرُ مختصر ومنطقُ
وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ فإنْ رُمتم نعيمَ الدهر فاشقوا
وللأوطان في دم كلّ حرّ يدٌ سلفتْ ودَينٌ مستحقُ
ومن يَسقي ويشربُ بالمنايا اذا الأحرار لم يسقوا ويَسقوا؟
ولا يَبني الممالكَ كالضحايا ولا يُدني الحقوقَ ولا يُحقُّ
فني القتلى لأجيال حياةٌ وفي الأسرى فدى لهمو وعتقُ
وللحرية الحمراء بابٌ بكلِّ يدٍ مضرَّجةٍ يُدَقُّ
جزاكم ذو الجلال بني دمشق وعزُّ الشرق أوله دمشقُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصرتم يوم محنتـــه أخاكم وكلُّ أخ بنصر أخيهِ حقُّ
وما كان الدروزُ قبيلَ شرٍّ وان أخذوا بما لم يستحقُّوا
ولكن ذادةٌ وقراةُ ضيف كينبوعِ الصفا خشنوا ورقُّوا
لهمْ جبلٌ أشمُّ له شِعافٌ مواردُ في السحابِ الجونِ بُلقُ
لكلِّ لبوءة ولكلِّ شِبل نِضال دون غابتهِ ورَشقُ
كأنَّ من السموأل فيه شيئاً فكلُّ جهاتهِ شرفٌ وخُلقُ

باب المراسلة والمناظرة

الجمعية العلمية للمعارف الاسلامية

أسس بعض المستشرقين من علماء الالمان الاعلام جمعية بهذا الاسم في (برلين) عاصمة السلطنة الالمانية العامة . وقد كان هؤلاء العلماء يبحثون قبل تأسيس هذه الجمعية في العلوم الاسلامية كما أن جماعات أخرى منهم تبحث في جميع العلوم والفنون وشؤون الامم ، بدقتهم التي فاقوا فيها جميع علماء الشعوب الأخرى . ولكن هذه الجمعية لها شأن لم يكن لغيرها من جماعات العلماء يرجى أن يكون فاتحة خير عظيم ، وإننا لم نطلع على قانونها وانما أحدث هذا الرجاء في أنفسنا ماتشروه من الدعوة إلى التعاون مع علماء المسلمين في مصر وغيرها . وقد أرسلوا الينا نسخة من الدعوة العربية المبينة لأغراض الجمعية . وهذا نصها :

دعوة الالمان الى علماء الاسلام

أي سادة العلماء

لدراسة تعاليم دين الاسلام وتعقب أحوال المسلمين العامة فيما يتعلق بجنسيتهم ومدنيتهم وماهم عليه من حالة اقتصادية وعمرانية أسست جمعيتنا التي لاتتداخل في السياسة قط .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعملنا في هذه الجمعية كما يرى من أغراضها ليس بالأمر الهين إلا أنه يصير سهلا زلالاً لو أن اخواننا علماء الدين الاسلامي بسطوا أكفهم للتعاون معنا في مسعانا تعاوناً علمياً حتى تحقق أغراضنا (التي) هي إحدى آمال الامم الاسلامية الناهضة

ولما كانت في طليعة تلك الأمم الناهضة مصر : مصر ذلك البلد الذي بقي حتى اليوم يمد العالم الاسلامي بنور تعاليم تلك الديانة الحنيفة ، فاننا نعتقد فيما بيننا أن أول من يلبي دعوتنا هذه لاشك علماء مصر الاماجد فهم أكثر مناتشبعاً بوجوب العمل لتأييد مانسعى اليه .

نعم إن من نتائج هذا التفاهم العلمي أن تنقشع ـ قريباً كان أم بعيداً ـ تلك الضبابة الكثيفة التي مازالت حتى الساعة تحجب الشرق عن أعين الغربيين وهو السر الوحيد فيما نراه من بقاء اختلاف كانت له نتائج وخيمة وقاسية لم تتخلص منها الاقطار الشرقية والغربية على السواء .

إلا أن ساعة الخلاص تقرب كلما ثبت للغرب شيئاً فشيئاً وجوب الاهتداء بنور التعاليم الحقة لدين الاسلام ولن يتهيأ للغرب ذلك حتى يمد بمساعدة علمية محضة . وهذا ميدان عمل فسيح لنا ولكم ياحضرات أعلام الاسلام « ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا » والسلام

رئيس الجمعية الالمانية للمعارف الاسلامية

الاستاذ المستشرق كامفماير

العنوان :ـ

Prof. Dr. G. Kampffmeier
Werderstr.10
Berlin — Dahlem Germani

(المنار) نرحب ونرحب بهؤلاء الاعلام وبجمعيتهم ونشكر لهم عملهم باللسان والقلم ، والعلم والعمل ، وإنا لما يدعونا لمستجيبون ، في كل مانحن عليه قادرون ، وننصح لمشيخة الأزهر أن تجيب دعوتهم وتطلب الوقوف على جميع أعمالهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وابحاثهم ، وان يمد اليهم يد المساعدة فى كل مايطلبون منها ، وبذلك تخدم الاسلام خدمة هي أحق بها من غيرها ، ونحث سائر علماء الاسلام فى الشرق والغرب على ذلك أيضا

المجموعة المباركة فى الصلوات المأثورة

جاءنا من مشيخة الجامع الازهر الشريف ما يأتي لينشر فى المجلة:

أرسل حضرة محمود شفيق البكري التاجر بميت غمر لمشيخة الجامع الأزهر الشريف مجموعة تدعى « بالمجموعة المباركة في الصلوات المأثورة والأعمال المبرورة تأليف عبده محمد بابا » لأبداء رأيها نحو ماتضمنته تلك المجموعة من الاحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم

والمشيخة تعلن أن ماجاء في هذه المجموعة من أحاديث الجزاء ظاهره الوضع والاختلاق سيما ماسماه مؤلفها حديث عبدالله بن السلطان . وفيه اغراء للعوام على اقتراف المآثم وترك الواجبات ، وعدم المبالاة بها اتكالاً على كلمة استغفار أو دعاء يقولها مرتكب ذلك ليخلص من شر ما اقترف . وان هذه المجموعة وأمثالها لا يضعها إلا جاهل أعماه جهله عن الطريق السوي ، أو ضال مضل قصد أن يصرف العوام عن أحكام الشرع الشريف ويجعلهم في حل من عدم الوقوف عند حدوده من طريق شبه شرعي اه شيخ الجامع الازهر

(الختم)

(المنار) دعاء عبدالله بن سلطان أو حديثه خرافة مضلة للعامة كان قد طبعها من زهاء ثلاثين سنة دجال من الدجاجلة اسمه عبد الله القباج وبينا ما فيه من الاضلال وهدم الدين في العدد ٤٠ من المنار الذي صدر في شعبان سنة ١٣٢٦ ثم اعاد طبعه دجال آخر فعدنا إلى التحذير منه بعد سنين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقريظ المطبوعات الحديثة

﴿ الذهب الخالص ، المنوه بالعلم القالص ﴾

كتاب في أصول الايمان والاسلام من العقائد والعبادات والآداب من تصانيف أكبر علماء الاباضية واشهرهم في هذا العصر الشيخ محمد بن يوسف إطفيش الجزائري رحمه الله تعالى . وقد طبعه في العام الماضي وعلق عليه بعض الحواشي تلميذه ونفيد أخيه الاستاذ الشيخ أبو اسحق ابراهيم إطفيش صاحب كتاب (الدعاية الى سبيل المؤمنين) ومباحث الكتاب مؤلفة من سبعة أركان (الاول) معرفة الله تعالى وسائر المسائل الاعتقادية ومنها الفرز بين كبائر الشرك والنفاق والخوف والرجاء الخ وأحكام الولاية والبراءة والوقوف بينهما — والملل الست وأحكامها (الركن الثاني) في النجاسة والطهارة والصلاة — (الركن ٣ و ٤ و ٥ و ٦) في الزكاة والصيام والحج والعمرة (الركن السابع) في الحقوق . فنحث كبار العلماء الرسميين وجميع العلماء المستقلين على الاطلاع على هذا الكتاب وهو مطبوع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ على ورق جيد وصفحاته ٣٤٠ من قطع المنار وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

(المنهاج) مجلة علمية أدبية إسلامية لمنشئها الاستاذ الشيخ أبي اسحق ابراهيم إطفيش الجزائري نزيل مصر وقد صدر منها جزآن حافلان بالمسائل الدينية والادبية والتاريخية . وكان من بواكر ثمراتها الرد على كتاب الشيخ علي عبد الرازق رأوندي هذا العصر في محاربة الاسلام ، ونصر الافرنج على المسلمين ، وتؤيد دعاية الملاحدة اللادينيين بشبهات الدين ، واذ كان منشىء هذه المجلة من كبار علماء الاباضية وخليفة أشهر علمائهم في هذا العصر علما وبيتا فالمرجو ان تكون مجلته من أسباب التأليف والوحدة بينهم وبين أهل السنة والشيعة . والخلاف بينهم وبين الشيعة أشد ، وقد كان هو الذي بادر الى الرد على بعض الكتب التي نشرها بعض دعاة التشيع في هذه السنين الطعن في أئمة حفاظ السنة ونبذهم بلقب النصب وكان رده معتدلا ، فعسى ان تنال ما يكافيء اجتهاد منشئها الغيور على الامة والملة من الرواج والانتشار ، وقيمة الاشتراك فيها ١٠٠ قرش